روايات مصرية للجيب

قضية الأبله

سلسلة المغامرات البوليسية المثيرة للشباب

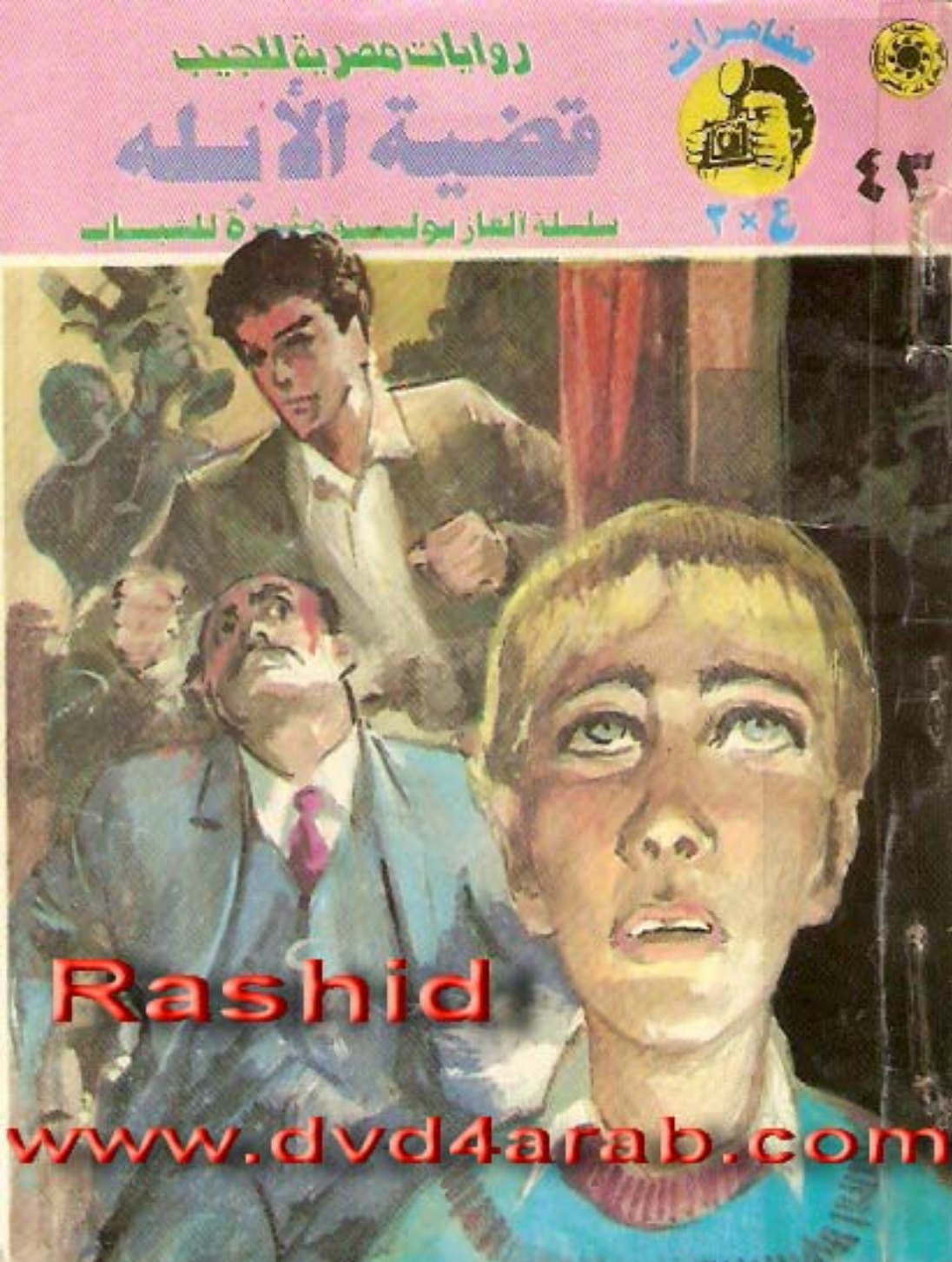

Rashid
www.dvd4arab.com

١ ــ انتحار ..

ابتسم عم (توفيق) ، حارس موقف السيارات الخاص للجريدة التى يعمل بها (عصام كامل) ، عندما رأى سيارة هذا الأخير تدلف إلى الموقف ، فى الثامنة صباحًا كالمعتاد ، واتجه إليها ، وهو يقول فى ترحاب واضح :

ــ صباح الخير يا أستاذ (عصام) ، كيف حالك ؟

ابتسم (عصام) بدوره ، وهو يقول :

ــ صباح الخير يا عم (توفيق) .. كيف حالك أنت ، وحال أبنائك ؟

تنهَّد عم (توفيق) ، مغمغمًا :

ــ كلهم بخير والحمد لله يا أستاذ (عصام) .

ناوله (عصام) مفاتيح سيارته ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ يمكنك أن تضعها فى أى مكان يروق لك اليوم ، فأمامى عمل سيستغرق النهار كله ، وجزءًا من الليل أيضًا .

تمتم عم (توفيق) :

ــ وفقك الله يا أستاذ (عصام) .

ثم استدرك فى سرعة ، وكأنما تذكر أمرًا ما :

ـــ ولكن كيف تؤكّد أنك ستقضى يومك كله هنا يا أستاذ (عصام) ؟.. ألن تذهب مع تلك السيّدة ؟

التفت إليه (عصام) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ أية سيّدة ؟

تمتم عم (توفيق) فى حيرة :

ـــ صاحبة تلك السيارة هناك .. لقد أخبرتنى فى ثقة أنك سترحل معها ، حتى أنها طلبت وضع سيارتها على أهبة الاستعداد للرحيل .

التفت (عصام) ، فى مزيج من الدهشة والحيرة ، إلى حيث يشير عم (توفيق) ، وتوقّفت عيناه عند سيارة فاخرة ، بالغة الأناقة ، من طراز يندر تواجده فى (مصر) ، وذات لون أحمر برّاق ، يشفّ عن نرجسية واضحة فى نفس صاحبها ، ورغبة كامنة فى التباهى ، ولفت الأنظار ، فسأل عم (توفيق) فى حيرة :

ـــ من هذه السيّدة بالضبط ؟

هزّ عم (توفيق) كتفيه ، وقال :

ـــ إنها لم تخبرنى .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

ـــ ولكن منحتنى ورقة بعشرة جنيهات كـ (بقشيش) .

رفع (عصام) حاجبيه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقدهما فى تفكير ، وهو يغمغم :

ـــ من هى يا ترى ؟ وماذا تريد منى ؟

ابتسم عم (توفيق) ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ يمكنك أن تلقى عليها السؤالين بنفسك ، فهى تنتظرك فى مكتبك .

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وهو يغمغم :

ـــ أنت على حق .

وصمت لحظة ، قبل أن يُردف فى حزم :

ـــ سألقى عليها السؤالين مباشرةً ..

* * *

« أستاذ (عصام) ؟!.. »

تسلّلت الكلمة إلى أذنيه ناعمة رقيقة ، على الرغم من نبرة التساؤل التى تحملها ، فراح يحدّق فى وجه صاحبتها فى دهشة عارمة ..

كانت سيّدة ، اقتربت من سن الأربعين ، أو تجاوزتها ببضعة أشهر ..

وكانت فاتنة ..

كل زملاء مكتبه كانوا يتطلّعون إليها فى انبهار ..

ولقد شاركهم ذلك ..

كانت شقراء ، زرقاء العينين ، منمنمة الفم ، لها نظرة تمتلئ بالكبرياء ، ووقفة تموج بالاعتداد ..

وكان من الواضح أنها تتمتع بشخصية قوية ، وثراء شديد ، يبدو متألّقًا فى ثوبها الأنيق ، الباهظ الثمن ..

وفى هدوء ، ودون أن تنتظر جواب (عصام) ، مدّت إليه يدها ، مستطردة :

ــ أنا (نوال كاظم) .

صافحها (عصام) فى حرارة ، وهو يعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ أمن المفروض أن يكفى الاسم لتعرّفك يا سيّدتى ؟

رفعت حاجبيها فى دهشة واستنكار ، وكأنما من غير المألوف أن تلتقى بمن يجهلها ، وهتفت :

ــ ألم تسمع عن مصانع (كاظم) للصابون ؟

ابتسم ، قائلًا فى هدوء :

ــ سمعت عنها بالطبع ، ولكننى لم أربط الاسمين بعضهما بالبعض .

مرة أخرى حدجته بنظرة استنكار وامتعاض ، أثارت ضيقه ، فجلس خلف مكتبه ، وأشار إليها بالجلوس ، قائلًا فى خشونة :

ــ هل لى أن أتشرّف بمعرفة سر هذا اللقاء ؟

كان أسلوبه فعّالًا فى انتزاع غطرستها ، فقد تردّدت ، وتلفّتت حولها فى قلق ، مغمغمة :

ــ ألا يمكننا أن نتحدّث فى مكان آخر ؟

صمت لحظة ، وهو يتأمّلها فى اهتمام ، ثم أجاب :

ــ بالتأكيد .

ونهض بحركة بطيئة ، مستطردًا :

ــ فى كافيتيريا الجريدة مثلًا ؟

هزّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ــ كلّا .. أريد مكانًا أكثر هدوءًا .

ابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. هناك مكان لن يقاطعنا فيه أحد أبدًا .

وتسلّلت لمحة خبيثة إلى ابتسامته ، فزادتها غموضًا ، وهو يستطرد فى تأكيد :

ــ أبدًا .

* * *

عقدت (نوال كاظم) حاجبيها فى ضيق وغضب ، وراحت تسوّى خصلات شعرها فى عصبيّة واضحة ، وهى تقف مع (عصام) ، فوق سطح مبنى الجريدة ، وهو يقول فى لهجة هادئة ، تحوى نبرة ساخرة :

ــ ما رأيك فى هذا المكان ؟

غمغمت فى سخط :

ــ أسخف مكان رأيته فى حياتى .

أجابها فى هدوء ، وكأنما راق له سخطها :

ــ وأكثرها سرية .

قلبت شفتيها ، وهى تغمغم فى ازدراء :

ــ هذا صحيح .

عقد (عصام) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى لهجة صارمة :

ــ والآن يا سيّدتى ، هل لى أن أعلم سر رغبتك فى مقابلتى .

التفتت إليه ، وترددت لحظة ، قبل أن تغمغم :

ــ إنه ابن أخى .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ابن أخيك ؟!.. وماذا عنه ؟

فوجئ بها تمسك يده فى توتر ، وهى تقول :

ــ إننى قلقة بشأنه .

سألها وقد نجحت فى إثارة فضوله :

ــ وما سر ذلك القلق ؟

تراجعت مغمغمة :

ــ لكى تفهم ، ينبغى لك أن تعرف كل شىء منذ البداية .

فتحت حقيبتها بأصابع مرتجفة ، والتقطت منها منديلًا ، مسحت به دمعة انحدرت على وجنتها ، قبل أن تستطرد :

ــ إننا أربعة إخوة ، وأخونا الأكبر ــ رحمه الله ــ هو الذى أنشأ مصانع (كاظم) ، وأفنى شبابه فى تطويرها ، حتى صارت علمًا من أعلام (مصر) ، وفخرًا لاقتصادها .

غمغم (عصام) :

ــ هذا صحيح .

ابتسمت له فى امتنان ، ثم عاد الحزن يكسو ملامحها ، وهى تردف :

ــ وكان خطأ شقيقنا ــ رحمه الله ــ الوحيد ، هو أنه قد تزوّج فتاة من عائلة حقيرة .

عقد حاجبيه ، وهو يتطلّع إليها ، فى مزيج من الدهشة والاستنكار ، فأسرعت تستدرك :

ـ أقصد عائلة فقيرة .

مطَّ شفتيه فى ضيق واضح ، فتابعت بسرعة :

ـ لم يكن الفقر هو مبعث اعتراضنا على زيجته ، وإنما هى عوامل الوراثة .

رفع حاجبيه فى دهشة ، مغمغمًا :

ـ عوامل الوراثة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى حزن :

ـ نعم .. لقد كان جد زوجة أخى مجنونًا .

صمتت ، فصمت ، وبدا الموقف كله وكأنما لا يحتاج إلى الحديث ، ودموعها تواصل انهمارها على وجنتيها فى سكون ، جعله يشعر نحوها ـ ولأوَّل مرة ـ بالشَّفقة ، فتمتم فى خفوت وتعاطف :

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

أجابته ، وهى تمسح دموعها :

ـ لقد تزوَّج أخى ، وعاش مع زوجته سعيدين ، حتى أنجبا (ضياء) .

زادت نبرة الحزن فى صوتها ، وهى تُردف :

ـ كان طفلًا جميلًا ، حلو الملامح ، باسم الثغر ، ولكن ..

أطلقت من أعماق صدرها تنهيدة قوية ، قبل أن تتابع فى حزن جارف :

ـ كان أبله .

ارتفع حاجبا (عصام) فى إشفاق ، على حين واصلت هى :

لم يلحظ أبواه ذلك ، إلا حينما بلغ الثالثة من عمره ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، ودون أن تثير الألعاب الطفولية اهتمامه ، فتولَّاهما الحزن ، ومرضت زوجة أخى ، وراحت تزداد نحولًا فى كل يوم ، حتى باتت أكثر شحوبًا من الموتى ، فلحقت بهم ذات ليلة ، وماتت فى هدوء .

تمتم (عصام) بعبارة عزاء خافتة ، استقبلتها هى بإيماءة أرستقراطية من رأسها ، قبل أن تستطرد :

ـ وبعدها عاش أخى أشبه بالشبح ، يرعى ابنه ، ويقتل نفسه فى مصنعه ، وكأنما يحاول الفرار من ذكراها ، وابنه ينمو منطويًا ، صامتًا ، ضعيفًا ، إلى أن شعر أخى بدنو أجله ، بعد إصابته بورم خبيث فى صدره ، فَجَمَعَنا أنا وشقيقىَّ (عصمت) و (شوكت) ، وأعلن لنا أنه سيترك (ضياء) أمانة فى أعناقنا ، على أن ندير له مصنعه ، نظير أجر شهرى

ضخم ، يتزايد بمقدار العُشر سنويًا ، حتى يبلغ (ضياء) الحادية والعشرين من عمره ، فيتسلَّم ثروته .

تمتم (عصام) فى اهتمام :

ــ إلى هنا يبدو الأمر عاديًا .

أومأت برأسها موافقة ، وقالت :

ــ كنَّا نتصوَّر ذلك ، خاصةً وأن (ضياء) سيبلغ الحادية والعشرين بعد ثمانية أشهر ، إلا أن ..

صمتت فى تردّد واضح ، دفع (عصام) إلى أن يسألها فى لهفة :

ــ إلا أن ماذا ؟

تردَّدت لحظة أخرى ، قبل أن تخفض عينيها ، مغمغمة :

ــ إلا أن (ضياء) يزداد بلاهة مع مرور الوقت ، حتى أنه .. حتى أنه قد حاول أكثر من مرة ، فى الشهور الأخيرة أن .....

بترت عبارتها فى عصبيَّة ، فهتف بها :

ــ أن ماذا ؟

هتفت فى حدَّة :

ــ أن ينتحر .

ثم انخرطت فى بكاء حار ، وهى تستطرد :

ــ أرجوك يا أستاذ (عصام) .. إنه من أشدّ المعجبين بك ، ولقد أخبرنى أكثر من مرَّة أنه يرغب فى مقابلتك ، وأعتقد أنك الوحيد الذى يمكنه منعه من الانتحار ، وإقناعه بالبقاء على قيد الحياة .. أرجوك .

ربَّت (عصام) على كتفهـا ، وشرد ببصره ، وهـو يغمغم :

ــ اطمئنى يا سيِّدتى .. سأبذل أقصى جهدى .. ولن ينتحر الفتى .. لن ينتحر بإذن الله ..

* * *

ربَتَ (عصام) على كتفها ، وشرد ببصره ، وهو يغمغم :

ـــ اطمئنى يا سيِّدتى .. سأبذل أقصى جهدى .. ولن ينتحر الفتى ..

٢ ـــ الخطة ..

نفس ذلك الشك الغامض ، الذى ملأ نفس (عصام) ، وجد طريقه إلى قلبى (عماد) و (عُلا) ، عندما قصّ عليهما الأمر ، فسألته (عُلا) فى اهتمام شديد :

ـــ وكم مرة حاول (ضياء) الانتحار ؟

أجابها (عصام) :

ـــ إنه لم يحاول الانتحار بشكل مباشر ، ولكن كل شىء كان يوحى بذلك .

سأله (عماد) :

ـــ مثل ماذا ؟

مطَّ (عصام) شفتيه ، وصمت لحظات ، وكأنه يستجمع ما لديه من معلومات ، قبل أن يقول :

ـــ لقد وجدوه نائمًا ذات مرَّة ، فى حمام القصر ، وأنابيب الغاز مفتوحة ، والنوافذ مُغلقة ، وأنقذوه فى اللحظة المناسبة ، قبل أن يلقى مصرعه مختنقًا ، وفى مرة ثانية ، تناول سمًّا بطىء المفعول ، وأمكن إنقاذه فى اللحظة الأخيرة .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة غامضة ، ثم اعتدل (عماد) ، وقال :

ـــ ولكن هذا يبدو أشبه بمحاولتى قتل ، لا انتحار .

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ هذا ما يبدو فى البداية ، ولكن بسؤال (ضياء) ، أفاد بأنه هو الذى فتح أنابيب الغاز ، وهو الذى وضع لنفسه السُم فى كوب اللبن الذى اعتاد تناوله كل مساء .

هتفت (عُلا) فى دهشة :

ـــ لماذا ؟

أجابها فى خفوت :

ـــ قال إنه يرغب فى اللحاق بوالديه ، بعد أن سئم تحكُّم عميه وعمته فى كل حياته .

تمتم (عماد) :

ـــ يبدو أنه يعانى قصورًا عقليًا بالفعل .

ثم سأل (عصام) بغتة :

ـــ هل قال ذلك فى محاضر رسمية ؟

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ إنهم لم يبلغوا الشرطة أبدًا .

سألته (عُلا) فى اهتمام :

ـــ لماذا ؟

أجابها :

ـــ لأنهم يخشون الفضيحة ، ويخشون أيضًا أن تثبت المحاضر الرسمية أنه أبله .

غمغم (عماد) فى لهجة غامضة :

ـــ عجبًا !!.. كنت أظن ذلك فى صالحهم .

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا مرَّة أخرى ، وقال :

ـــ ليس كما تظن .. فوصية والد (ضياء) تقتضى أن يحصل وحده على الثروة كلها ، وفى حالة ثبوت عدم قدرته العقلية على إدارتها ، تُحَوَّل بموجب عقد منح قانونى ، لصالح الجمعيات الخاصة بعلاج أصحاب القصور العقلى ، على أن يودع (ضياء) إحدى مؤسساتها .

سألته (عُلا) :

ـــ وماذا لو مات (ضياء) ، أو قُتِل ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـــ فى هذه الحالة تئول الثروة كلها إلى جمعيات التثقيف الفكرى .

تمتم (عماد) :

ـــ أظن أنه من السهل الطعن فى هذه الوصيَّة ، فليس لأى مخلوق الحق فى أن يوصى بأكثر من ثلث ثروته .

غمغم (عصام) :

ـــ هذا صحيح .. لقد استشرت مدير الإدارة القانونية فى الجريدة ، فأكَّد لى سهولة الطَّعن .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة غامضة طويلة ، من تلك النظرات التى تثير حفيظة (عصام) ، قبل أن تغمغم (عُلا) :

ـــ أظن أن الخطوة التالية واضحة تمامًا .

ثم رفعت عينيها إلى (عصام) ، مستطردة :

ـــ لا بد أن تلتقى بأصحاب القضية ، فى قلب المعركة ..

* * *

نهض (عصمت كاظم) ، يصافح (عصام) فى لامبالاة واضحة ، مشيرًا إلى مقعد مجاور ، فى صالون الڤيلَّا الأنيق ، قائلًا :

ـــ مرحبًا يا أستاذ (عصام) .. تفضَّل بالجلوس .. لقد حدَّثتنا (نوال) عنك كثيرًا ، وأكَّدت لنا أن (ضياء) يتابع كل كتبك .

جلس (عصام) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ إننى لم أؤلف أيَّة كتب .

تطلَّع إليه (عصمت) فى حيرة ، مغمغمًا :

ـــ ما الذى يقرؤه لك (ضياء) إذن ؟

أجابه (عصام) فى ضيق :

ـــ إنها تحقيقات صحفيَّة .

رفع (عصمت) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ تحقيقات صحفيَّة ؟!.. أى نوع من التحقيقات الصحفيَّة يقرؤه ذلك الأبله ؟

زفر (عصام) فى حنق ، قبل أن يجيب :

ـــ إنها تحقيقات بوليسية .

هتف (عصمت) فى استنكار :

ـــ بوليسية ؟!

ثم رمق (عصام) بنظرة شك ، مستطردًا :

ـــ أأنت كاتب بوليسى ؟

أجابه (عصام) فى ضجر :

ـــ بل صحفى بقسم الحوادث .

قلب (عصمت) شفتيه فى ازدراء ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وتمتم فى سخط :

ـ على أى نحو تدار الأمور هنا ؟!

أثار هذا الأسلوب ضيق (عصام) ، فقرّر أن يحطّمه مباشرةً ، ودفعه هذا القرار إلى أن يميل إلى الأمام بغتة ، ويسأل (عصمت) :

ـ ما رأيك فى (ضياء) يا أستاذ (عصمت) ؟

التفت إليه (عصمت) فى دهشة ، وكأنما لم يكن يتوقّع هذا السؤال أبدًا .

ثم لم يلبث أن اعتدل فى مقعده ، وقال فى تعال :

ـ مجنون .. مجرّد شاب مجنون .

سأله (عصام) :

ـ وما مظاهر ذلك الجنون فى رأيك ؟

تلفّت (عصمت) حوله فى حذر ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد ، ثم أجاب فى صوت خافت :

ـ إنها أكثر مما تتصوّر .

قال (عصام) فى هدوء :

ـ مثل ماذا ؟.. هل يعض الأرض مثلًا ، أم ينطح الحوائط برأسه ؟

تراجع (عصمت) ممتعضًا ، وهو يهتف :

ـ لا هذا ولا ذاك .

ثم عاد يتلفّت حوله ، قبل أن يميل نحو (عصام) ، مستطردًا فى خفوت :

ـ إنه يقضى جل وقته فى حجرته ، ولا يفارقها إلا فيما ندر ، ولا أحد يدرى ما يفعله فيها ، باستثناء (نوال) ، ثم إنه كثيرًا ما يفارق الحجرة فى الليل ، بعد أن ينام الجميع ، ويروح يجوّل فى أنحاء الڤيلّا ، فى الظلام ، حتى أننى ...

بتر عبارته ، واعتدل مغمغمًا فى شحوب :

ـ حتى أننى أخافه أحيانًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ ولماذا يفعل هذا فى رأيك ؟

قلب (عصمت) كفيه فى حيرة ، وقال :

ـ كم أتمنى أن أعرف .

ثم عاد يميل نحو (عصام) ، مستطردًا فى توتر :

ـ إنه يبغضنا جميعًا .

سأله (عصام) ، وقد انتقل التوتر إليه :

ـ لماذا تجزم بذلك ؟

لوّح (عصمت) بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ يكفى أن تنظر إلى عينيه ، فتجد الكراهية والمقت محفورين فى زرقتهما فى وضوح .. صدقنى إنه حقًا مجنـ .....

قاطعته صيحة صارمة :

ـــ (عصمت) !!

شحب وجه (عصمت) ، وانكمش فى مقعده . وهو يتطلّع فى رعب إلى (نوال) ، التى ترمقه بنظرات صارمة مخيفة ، جعلت (عصام) يتساءل فى دهشة عن سر سيطرة تلك المرأة على شقيقيها ، وعلى مشاعرها وقسماتها ، التى لم تلبث أن لانت ، وارتسمت عليها ابتسامة هادئة ، وهى تلتفت إلى (عصام) ، قائلة :

ـــ مرحبًا يا أستاذ (عصام) .. كيف حالك ؟

صافحها (عصام) فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ بخير يا سيّدتى .. شكرًا لسؤالك .

التفتت إلى (عصمت) ، وقالت فى صرامة :

ـــ أريد أن أجلس مع الأستاذ (عصام) وحدنا .

هبَّ (عصمت) من مقعده ، وهو يقول فى خوف واضح :

ـــ بالتأكيد .

ثم اندفع مغادرًا الحجرة ، فقال (عصام) فى دهشة :

ـــ يبدو أنه يخشاك كثيرًا .

شحب وجه (عصمت) ، وانكمش فى مقعده ، وهو يتطلّع فى رعب إلى (نوال) ، التى ترمقه بنظرات صارمة مخيفة ..

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ـــ إننى شقيقتهما الكبرى .

ثم لم تلبث أن ابتسمت ، وغمغمت فى دلال :

ـــ وهذا لا يعنى أننى عجوز .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ بالطبع

ثم مال نحوها ، يسألها فى اهتمام :

ـــ أين (ضياء) ؟

أجابته فى هدوء :

ـــ فى حجرته .

قال ، وهو يرقب ملامحها فى اهتمام :

ـــ كالمعتاد ؟

حدجته بنظرة طويلة ، قبل أن تسأله فى حزم :

ـــ ماذا تعنى بـ (كالمعتاد) ؟

هزَّ كتفيه ، وقال :

ـــ إنه قلّما يغادر حجرته .. أليس كذلك ؟

عقدت حاجبيها فى شدة ، وهى تتطلّع إلى عينى (عصام) بنظرة طويلة ، قبل أن تنهض من مقعدها ، وتلتقط علبة سجائرها فى عصبيَّة ، قائلة :

ـــ أتسمح لى بتدخين سيجارة ؟

غمغم فى هدوء :

ـــ لا أحد يمكنه أن يمنع أى مخلوق من الانتحار .

عقدت حاجبيها ، معلنةً عدم قبولها لرده ، إلا أن هذا لم يمنعها من إشعال سيجارتها ، ونفث دخانها فى قوة ، قبل أن تقول :

ـــ أستاذ (عصام) .. هل تريد رأيى فيما يحدث هنا ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ بالطبع .. وبكل صراحة .

نفثت دخان سيجارتها مرَّة أخرى فى عصبيَّة ، قبل أن تقول :

ـــ هناك شر يحوم حول هذا المكان .. شر يسعى إلى هدف واحد مخيف .

وارتجف صوتها ، قبل أن تردف فى عمق :

ـــ القتل ..

* * *

٣ ــ روح الشر ..

رفع الصمت راية النصر ، فى صالون الڤيلا ، طوال الدقائق الثلاث ، التى تلت عبارة (نوال) ، و (عصام) يحدّق فى وجهها بدهشة عارمة ، قبل أن يغمغم فى توتر بالغ :

ــ القتل ؟!.. كنت أظن أننا بصدد محاولة انتحار .

فركت كفّيها فى عصبية ، وابتسمت ابتسامة مضطربة ، وهى تقول :

ــ أهناك فارق كبير ؟

هتف فى حدة :

ــ للغاية .. الانتحار عملية فردية ، يُقدم المرء فيها على قتل نفسه بنفسه ، ومن الصعب منعه بالقوة من تنفيذ ذلك ، أما القتل فيحتاج إلى فردين على الأقل ، قاتل ومقتول ، وفى هذه الحالة يكون هناك شخص برىء مسكين ، يحتاج إلى من يحاول إنقاذه .

اضطربت ابتسامتها أكثر ، وهى تتمتم :

ــ نعم .. أنت على حق .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها :

ــ مدام (نوال) .. ماذا هناك بالضبط ؟

تلفّتت حولها فى قلق ، فصاح بها فى حنق :

ــ ممَّ ، أو ممن تخافون ؟

هتفت فى مزيج من الدهشة والذعر :

ــ ماذا تقصد ؟

هتف فى عصبيَّة :

ــ أقصد أن كلّكم تتلفّتون حولكم فى خوف وقلق ، كلما تحدّثتم عن شىء ما ، لم يصرّح به أحدكم قط ، فما هو هذا الشىء ؟ وما سبب خوفكم وقلقكم ؟

شحب وجهها لحظات ، وتمتمت فى اضطراب :

ــ أستاذ (عصام) ، يبدو أنك قد أسأت فهم الموقف .. إننا لا نخشى شيئًا أو .....

قاطعها فى غضب :

ــ أو ماذا ؟.. أريد أن أعلم شيئًا واحدًا ، هل تريدون منى أن أتابع هذه القضية أم لا ؟

ازداد شحوبها ، واضطربت على نحو واضح ، وانفرجت

شفتاها فى ارتجافة خفيفة ، وبدا كأنها ستنطق بشىء ما ، حينما ارتفع صوت صارم يقول :

ــ لا .

استدار (عصام) إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، وأدرك على الفور أنه ينظر إلى (شوكت كاظم) ، شقيق (نوال) و (عصمت) ، فقد كان الثلاثة يتشاركون فى الشَّعْر الأشقر ، والعينين الزرقاوين ، إلا أن (شوكت) بدا أشدّ صلابة من أخويه ، وهو يحدج (عصام) بعينين باردتين ، مستطردًا :

ــ ما لم تتابعها على النحو الذى يروق لنا .

انعقد حاجبا (عصام) فى غضب ، وهو يقول :

ــ اسمع يا رجل .. إنك لم تستأجرنى ، أو تدفع لى أجرًا مقابل متابعة هذه القضية ، وهذا يعنى أنه ليس من حقك أن .....

قاطعه (شوكت) فى سخرية :

ــ عظيم لقد اتفقنا .

ثم صافحه فجأة فى قوة ، مردفًا :

ــ إلى اللقاء يا أستاذ (عصام) ، كنا نتمنى أن نلتقى فى ظروف أفضل ، ولكن هكذا الحياة .

استدار (عصام) إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، وأدرك على الفور أنه ينظر إلى (شوكت كاظم) شقيق (نوال) و (عصمت) ..

صاحت (نوال) فى حدّة :

ــ (شوكت) .. ماذا تفعل ؟

التفت إليها ، قائلًا فى سخرية :

ــ إننى أودّع الأستاذ (عصام) بالطبع .

صاحت فى غضب :

ــ (شوكت) .

أشعل سيجارته ، ونفث دخانها فى برود ، قائلًا :

ــ ماذا هناك ؟.. أتصرّين على توديعه بنفسك ؟

وضع (عصام) يده على كتف (شوكت) فى قوة ، وهو يقول :

ــ لاتقلق نفسك بشأنى يا أستاذ (شوكت) ، فلن أرحل من هنا ، قبل أن تنتهى هذه القضية .

أزاح (شوكت) يد (عصام) عن كتفه فى برود ، ثم التفت إليه فى بطء ، وتبادل الاثنان نظرات صارمة ، مفعمة بالتحدى ، قبل أن يقول (شوكت) فى بطء ، وبلهجة تنطوى على التهديد :

ــ هذا إذا بقيت حتى نهايتها .

أجابه (عصام) فى برود :

ــ سأبقى .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (شوكت) ، ثم لم تلبث أن تحوّلت إلى ضحكة ساخرة مجلجلة ، أثارت غضب (عصام) ، فهتف فى عناد :

ــ وبعد أن تذهب أنت .

انعقد حاجبا (شوكت) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى (عصام) فى غضب ، وتلاشت ابتسامته ، وهو يهتف فى حدّة :

ــ اسمع يا فتى .. إنك لن ....

قاطعه صوت حازم :

ــ كفى يا (شوكت) .

التفت (عصام) مرة أخرى إلى مصدر الصوت ، وطالعه رجل ضخم الجثة ، متين البنية ، يحمل نفس ملامح الإخوة (كاظم) ، فهتف (عصام) فى عصبية :

ــ رائع .. المَشاهد هنا تبدو وكأنها كلها من صنع كاتب سيناريو واحد ، فكلما احتدم النقاش ، ظهر أحد أفراد العائلة فجأة .

عقد الضخم حاجبيه فى غضب ، وعقد كفّيه خلف ظهره فى عظمة ، هاتفًا فى صرامة :

ـ لست مجرَّد أحد أعضاء الأسرة يا فتى .. إننى عم هؤلاء الحمقى .. أنا (صفوت كاظم السلحدار) .

قال (عصام) فى عصبيَّة :

ـ تشرَّفنا يا سيِّد (صفوت) ، وإن كانت أسماؤكم قد أربكتنى ، فكلها تتشابه فى نهاياتها بالتاء المفتوحة .

مطَّ (صفوت) شفتيه ، وهو يقول فى غطرسة :

ـ هذا يعود إلى أننا لسنا من أصل مصرى ، فجدنا الأكبر كان تركيًّا ، و .....

قاطعه (عصام) فى حدَّة :

ـ أتقصد أنكم أجانب ؟

هتف (صفوت) فى استنكار :

ـ ماذا تقول يا فتى ؟

أجابه (عصام) فى حدَّة :

ـ أقول إنكم أجانب ، طبقًا لقولك ، وهذا يعنى أنه ليس لكم حقوق المصريين ، بعكسى أنا ، فأنا مواطن مصرى ، أفخر بمصريتى ، وأعتز وأزهو بها .

تابعه (صفوت) فى ذهول ، قبل أن يهتف فى حدَّة :

ـ ماذا يقول هذا الفتى ؟

قالت (نوال) فى عصبيَّة :

ـ لا عليك يا عمَّاه .. إن الأستاذ (عصام) ضيفنا ، وهذا طبقًا لمطلب (ضياء) .

قلب العم شفتيه فى امتعاض ، وهو يقول :

ـ ذلك الأبله ؟!

هتفت (نوال) :

ـ عمَّاه .

لوَّح بذراعه ، وهو يهتف فى حنق :

ـ كفى .. إنكم تحيطون ذلك الأبله بما يفوق حجمه وحدوده ، على حين أن مكانه الحقيقى ليس هنا ، وإنما فى مستشفى الأمراض العقلية .

هتفت (نوال) فى غضب :

ـ (ضياء) ليس أبلة .

قال العم فى عناد :

ـ بل هو أكثر من ذلك .. إنه مجنون .

عادت (نوال) تهتف فى غضب :

ـ عمَّاه .

بدا وكأن اعتراضها يزيده إصرارًا وعنادًا ، فصاح فى حدَّة :

ـ بل مجنون ، مجنون .. مجنون .

تشبَّثت (نوال) بذراعه ، وهى تقول فى توسُّل :

ـ أرجوك يا عمِّى .. سيسمعك ، وأنت تعلم شدَّة حساسيته .

صرخ العم بأعلى صوته معاندًا :

ـــ أقول إنه مجنون .. (ضياء كاظم) مجنون .

فقد (عصام) أعصابه عند هذه النقطة ، وصرخ :

ـــ كفى .

التفت إليه العم فى دهشة ، ثم لم تلبث دهشته أن تحوّلت إلى استنكار شديد ، وهو يهتف :

ـــ كيف تجرؤ يا فتى ؟.. كيف تجرؤ على أن تلقى علىَّ أوامرك فى قيلتى ؟

عقد (عصام) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. كنت أظن القيلًا ملكًا لـ (ضياء كاظم) .

احتقن وجه (صفوت) فى شدّة ، وراح يحدّق فى وجه (عصام) فى ذهول ، قبل أن يهتف فى غضب :

ـــ اخرج من هنا .. اخرج قبل أن أركلك وأدفعك خارجًا .

أجابه (عصام) فى برود :

ـــ لست تملك الحق فى ذلك القول يا رجل .

ثم اتجه نحو (نوال) فى هدوء ، وقال :

ـــ أين حجرة (ضياء) ؟

نقلت بصرها فى توتر ، ما بين وجهه ، ووجه عمها المحتقن فى شدة ، ثم أشاحت بوجهها، مغمغمة :

ـــ أوّل حجرة فى الطابق العلوى .

قال (عصام) فى هدوء :

ـــ شكرًا لك يا سيّدتى .

ثم اتجه نحو السلم ، الذى يقود إلى الطابق الثانى ، والعم يرمقه فى ذهول ، قبل أن يصرخ :

ـــ ألقوا هذا المعتوه خارجًا .

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وقال :

ـــ لماذا يا سيّد (صفوت) ؟.. إن شطرى المعادلة ينسجمان هكذا بوجودى .

والتفت إليه ، مستطردًا فى سخرية مريرة :

ـــ أبله ومعتوه .. ياله من مزيج طريف !!

حدّق (صفوت) فى وجهه بذهول ، ثم صرخ كالمجنون :

ـــ قلت ألقوه خارجًا .. ألقوه قبل أن أقتله .

عقد (عصام) حاجبيه ، والتفت إلى (نوال) ، قائلًا :

ـــ لقد صدقت يا سيّدة (نوال) .

ثم التفت إلى (صفوت) مستطردًا فى صرامة :

ـــ هناك روح شريرة هنا .

وواصل طريقه نحو حجرة (ضياء) فى هدوء ..

* * *

٤ ــ اللقاء ..

طرق (عصام) باب حجرة (ضيـــاء) فى هدوء ، لا يشفّ أبدًا عن ذلك البركان ، المتفجّر فى أعماقه ..

كان يتلهّف فى شدّة لرؤية (ضياء) ، صاحب المشكلة .. بطل القضيّة كلها ..

ولقد جعله انفعاله هذا يرتجف ، عندما سمع صوت (ضياء) يأتى من الداخل هادئًا ، وهو يقول :

ــ من بالباب ؟

قال (عصام) فى توتر :

ــ (عصام كامل)

أتاه صوت (ضياء) من الداخل هاتفًا :

ــ الصحفى ؟!

ابتسم (عصام) على الرغم منه ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. الصحفى .

سمع صوت أقدام تعدو نحو الباب ، وارتجف فى عنف ، عندما فُتِحَ الباب دفعة واحدة ، ووجد أمامه (ضياء) ..

نفس ملامح أسرة (كاظم) ..

الشعر الأشقر ، والعينان الزرقاوان ..

ولكن (ضياء) كان مختلفًا ..

كان شديد النحول ، على نحو مثير للدهشة ، إذ بدت عيناه بارزتين ، من وسط فراغهما ، فى منتصف جمجمته ، وبدت عظام وجنتيه بارزة على نحو عنيف ، حتى أن (عصام) قد شعر ببعض الخوف ، وهو يتطلّع إلى عينى (ضيـــاء) البارزتين ، قبل أن يقول هذا الأخير فى لهفة :

ــ أنت الأستاذ (عصام) ؟

أومأ (عصام) برأسه ، مغمغمًا :

ــ أظن ذلك .

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى (ضياء) ، وهو يقول :

ــ إنك تبدو مختلفًا عن تلك الصورة ، التى رسمْتُهَا لك فى خيالى .

ابتسم (عصام) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لماذا لم ترسل إلىّ خطابًا ، وتطلب منى صورة ؟

عقد (ضياء) حاجبيه ، وقال :

ــ لم أتوقّع أن تهتم بخطابى .

تأمّله (عصام) لحظة فى اهتمام ، ثم قال فى هدوء :

ـــ ألن تدعونى للجلوس معك فى حجرتك ؟

هزّ (ضياء) كتفيه ، وغمغم :

ـــ لو أنها تروق لك .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ ستروق لى حتمًا .

تطلّع إليه (ضياء) فى اهتمام ، وبدت عيناه لـ (عصام) عجيبتين ، إذ كانتا تتألّقان على نحو مدهش ، قبل أن يغمغم (ضياء) ، وهو يهزّ كتفيه مرة أخرى :

ـــ لا بأس .

دلف (عصام) إلى الحجرة فى شغف حقيقى ، ووقف فى منتصفها ، يدير عينيه حوله فى اهتمام ..

وكانت حجرة واسعة فسيحة ، مرتّبة على نحو مثير للدهشة ، وتحوى العديد من العجائب والألعاب ، وكميّة ضخمة من الكتب ، تملأ حائطًا بأكمله ، فى مكتبة أنيقة جميلة ..

وكان أكثر ما لفت انتباه (عصام) ، هو وجود كمبيوتر شخصى صغير ، فوق مكتب (ضياء) ، فسأل هذا الأخير فى اهتمام :

وكان أكثر مالفت انتباه (عصام) ، هو وجود كمبيوتر شخصى صغير ، فوق مكتب (ضياء) ..

ـ هل تجيد التعامل مع الكمبيوتر ؟

هزَّ (ضياء) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ إنه لا يروق لى .

سأله (عصام) :

ـ هذا الكمبيوتر بالذات أم ....؟

قاطعه فى هدوء :

ـ إننى أكره الإليكترونيات عامةً .

ابتسم (عصام) ، وهو يسأله :

ـ ماذا تحب إذن ؟

أطرق (ضياء) برأسه ، وهو يغمغم :

ـ عمتى (نوال) .

تطلَّع إليه (عصام) فى عطف ، وقال فى خفوت :

ـ لم أقصد هذا ، وإنما أردت أن أسألك ، ما هوايتك الأثيرة ؟

رفع (ضياء) عينيه إليه فى اهتمام ، وقال :

ـ الكتب .

ثم أشار إلى مكتبته الضخمة ، مستطردًا :

ـ ألم تلحظ ذلك ؟

غمغم (عصام) فى خجل :

ـ لاحظت بالطبع .

أومأ (ضياء) برأسه ، وغمغم :

ـ بالتأكيد .. ألست المحققَ البوليسى الشهير ؟

اشتمَّ (عصام) فى عبارته رنة ساخرة ، ولكنه كذَّب أذنيه ، وجلس على المقعد الوحيد بالحجرة ، وسأله :

ـ فيم تقرأ يا (ضياء) ؟

أجابه الفتى فى هدوء :

ـ فى كل شىء ، وأى شىء .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ أهذا سبب انعزالك فى حجرتك ؟

تمتم فى هدوء :

ـ أحد الأسباب .

عقد (عصام) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـ هل يمكنك أن تخبرنى بالأسباب الأخرى ؟

تردَّد الفتى لحظة ، ثم أجاب :

ـ لا أحد يحبنى هنا .

ثم أسرع يستدرك :

ـ فيما عدا عمتى (نوال)

تمتم (عصام) فى إشفاق :

ـــ أعلم ذلك .. لقد دافعت عنك فى حرارة ، أمام العم (صفوت) .

عقد (ضياء) حاجبيه ، وهو يقول فى حدَّة :

ـــ العم (صفوت) يكرهنى .

وبدت كلماته مفعمة بالبغض والكراهية ، وهو يستطرد :

إنه يريد إلقائى فى مستشفى للأمراض العقلية .

ثم أردف هاتفًا :

ـــ ولكن العمة (نوال) لن تسمح بذلك .

تنهَّد (عصام) ، وقال :

ـــ وماذا يمكنها أن تفعل ؟

عقد (ضياء) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ الكثير .

سأله (عصام) فى عطف :

ـــ مثل ماذا ؟

هتف (ضياء) فى حدَّة :

ـــ يمكنها أن تقـ .....

بتر عبارته على نحو مفاجئ ، فانعقد حاجبا (عصام) ، وهو يسأله فى توتُّر شديد :

ـــ ماذا أردت أن تقول يا (ضياء) ؟

تمتم الفتى فى خفوت :

ـــ لا شىء .

قال (عصام) فى حزم :

ـــ إننى أصرّ على المعرفة .

صاح (ضياء) فى غضب :

ـــ قلت لك لا شىء .

ثم انخفض صوته ، وهو يستطرد :

ـــ إننى أكره أن يجبرنى أى شخص على فعل ما أرفضه .

زفر (عصام) فى عمق ، وتمتم :

ـــ كلنا هذا الرجل .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا :

ـــ أسعدنى لقاؤك يا (ضياء) ، وأظننا سنلتقى مرة أخرى .

غمغم الفتى ، وهو يصافحه :

ـــ أتمنى ذلك .

ثم استطرد فى اهتمام :

ــ لقد كوَّنتُ فكرة مختلفة عنك تمامًا ، بعد ذلك اللقاء .

سأله (عصام) مبتسمًا :

ــ أية فكرة ؟

تطلَّع إليه الفتى لحظة فى صمت ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ فكرة أنك لست من يحل الألغاز الغامضة فى تحقيقاتك مثلًا .

حدَّق (عصام) فى وجه الفتى بذهول ، قبل أن يهتف :

ــ لماذا تكوَّنت فى ذهنك هذه الفكرة ؟

ابتسم (ضياء) فى خبث ، مغمغمًا :

ــ مجرَّد استنتاج .. استنتاج بسيط .

* * *

« كيف أمكنه استنتاج ذلك ؟!!.. »

هتف (عماد) بتلك العبارة فى دهشة بالغة ، عندما استمع إلى حديث (عصام) ، الذى هزَّ رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ــ لست أدرى .. حقيقة لست أدرى .. يخيل إلىَّ أنه قد ألقى العبارة بلا معنى .

قالت (غلا) فى هدوء :

ــ بل كان يقصدها تمامًا .

التفت إليها الاثنان ، وهتفا فى آن واحد :

ــ كيف ؟!

اعتدلت ، وسألت (عصام) فى اهتمام :

ــ قل لى يا أستاذ (عصام) ، هل كانت أزرار ذلك الكمبيوتر الشخصى ، فى حجرة (ضياء) نظيفة أو متربة ؟

بدا السؤال عجيبًا ، بالنسبة لـ (عصام) ، ولا يتصل من قريب أو بعيد بالأحداث ، إلا أنه أجاب فى اهتمام :

ــ لست أدرى .. إننى لم ألحظ ذلك .

ابتسمت فى ثقة ، وقالت :

ــ أرأيت ؟

هتف (عصام) فى حنق :

ــ رأيت ماذا ؟

قالت مبتسمة :

ــ أراهنك أن أزرار الكمبيوتر كانت متربة فى وضوح ، ولكنك لم تلحظ ذلك ، وسألت (ضياء) عما إذا كان يهوى الكمبيوتر أم لا ، ثم عدت تسأله عن هوايته ، على الرغم من وجود مكتبة تملأ حائطًا كاملًا فى حجرته ، وهذا ما جعله يعرف أنك لا تملك موهبة الاستنباط .

عقد (عصام) حاجبيه فى حنق ، وهو يقول :

ـــ ولكن مثل هذا الاستنتاج يحتاج إلى عقل ذكى ، لا إلى ..

بتر عبارته بغتة ، فأكملها (عماد) ، قائلًا :

ـــ لا إلى أبله .. أليس كذلك ؟

تمتم (عصام) فى حيرة :

ـــ بلى .

ثم استطرد فى شرود :

ـــ الواقع أن (ضياء) لم يبد لى أبله على الإطلاق ، طوال حديثنا معًا .

وصمت لحظة ، وهو يستعيد ذكرى اللقاء ، قبل أن يستطرد :

ـــ وعلى العكس ، بدت لى عيناه وكأنهما تشعّان ذكاءً .

ران الصمت على ثلاثتهم لحظات ، ثم تمتمت (غُلا) :

ـــ هناك شىء غامض ، فى هذه القضية كلها .

لوّح (عماد) بسبّابته ، مغمغمًا :

ـــ هذا صحيح .

وصمت لحظة أخرى ، ثم استطرد فى حزم :

ـــ يبدو أننا نواجه محاولة قتل بالفعل .

هتف (عصام) فى توتر :

ـــ قتل من ؟ ولصالح من ؟..

تبادل (عماد) و (غُلا) واحدة من نظراتهما الغامضة المخيفة ، قبل أن تقول (غُلا) :

ـــ هذا ما علينا أن نسعى لمعرفته يا أستاذ (عصام) .

أكمل (عماد) فى حزم :

ـــ وبأقصى سرعة ، وإلا فستتحوّل قُبلًا كاظم إلى أبشع شىء فى الدنيا .

وحمل صوته رنة مخيفة ، على الرغم من صغر سنه ، وهو يضيف :

ـــ إلى مذبح آلهّ ..

* * *

تقلّب (عصام) فى فراشه متوترًا ، عاجزًا عن نسيان أحداث ذلك اليوم الطويل ، ومستعيدًا كل أحاديثه وحواراته مع الجميع ..

وفجأة ارتفع رنين الهاتف ..

انتفض جسده فى قوة ، وهو يقفز من الفراش ، ويختطف سمّاعة الهاتف ، قائلًا :

ـ هنا (عصام كامل) ، من الـ ..

لم يتم عبارته ، إذ جاء صوت (نوال) يقاطعه ، وهى تهتف فى لهجة باكية ، ملتاعة :

ـ أستاذ (عصام) .. أيمكنك أن تحضر على الفور ؟

هتف فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟

أجابته فى صوت باك :

ـ إنه العم (صفوت) .. لقد .. لقد ..

انفجرت فجأة باكية ، وهى تستطرد فى ذعر :

ـ لقد قُتِل .

* * *

٥ ـ جريمة ليل ..

كان العم (صفوت) يبدو مخيفًا ، وهو يجلس على مقعد ضخم ، فى ردهة الڤيلا ، جاحظ العينين ، مهشَّم الجمجمة ..

وكان من الواضح أن أحدهم قد باغته من الخلف ، وهشَّم رأسه بذلك التمثال الثقيل ، الملوَّث بالدماء ، والملقى إلى جواره .. وشحب وجه (عصام) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى الجثة ، ويسترجع حواره الخشن مع الرجل منذ ساعات قلائل ، قبل أن يتمتم فى صوت أجش :

ـ متى كشفتم الحادث ؟

أجابه (عصمت) فى اضطراب شديد :

ـ منذ ساعتين تقريبًا .. إنه أمر فظيع .

سأله (عصام) فى توتر :

ـ ومن كشف الحادث ؟

أجابته (نوال) باكية :

ـ أنا .

شحب وجه (عصام) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الجثة ، ويسترجع حواره الخشن مع الرجل منذ ساعات قلائل ..

بدت لها إجابتها مقتضبة للغاية ، وغير كافية ، فأردفت :

ــ لقد اعتدت أن أتفقّد حجرة (ضياء) كل مساء ، وعندما خرجت لأفعل ، لمحت شخصًا يجلس فى الرُّدهة ، فسألت : من هناك ؟ ولما لم أحصل على جواب ، هبطت لأرى ماذا هناك و .....

انهمرت الدموع من عينيها غزيرة ، وهى تستطرد :

ــ ووجدته هكذا .

ألقى (عصام) نظرة أخرى على وجه القتيل ، وازدرد لعابه بصوت مسموع ، ثم هتف فى توتر :

ــ كيف لم يصل رجال الشرطة حتى الآن ؟

تبادل (عصمت) و (شوكت) و (نوال) نظرة مرتبكة ، ثم خفضت (نوال) عينيها ، مغمغمة :

ــ إننا .. لم نُبلغ الشرطة بعد .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ ماذا ؟!

ثم لوّح بذراعه ، صائحًا :

ــ هل جننتم ؟!.. إنها ليست حادثة سرقة ، يُمكن التغاضى عنها ، أو التستُّر عليها .. إنها جريمة قتل .

وضع (شوكت) يده على كتفه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ أستاذ (عصام) .. حاول أن تفهم .. إنها سمعة العائلة ، وسمعة المصنع ، و .....

قاطعه (عصام) ، وهو يدفع يده فى عنف :

ــ فليذهب كل هذا إلى الجحيم .. القانون هو القانون .

واتجه فى حركة حادة إلى حيث الهاتف ، فاختطف سمّاعته ، وصاح فى حدّة :

ــ لابد من إبلاغ الشرطة ، حتى ولو أدّى ذلك إلى .....

بتر عبارته فجأة ، عندما رأى ذلك الشىء يهوى نحو رأسه ..

وكان هذا الشىء هو نفس التمثال القاتل ..

أداة الجريمة ..

* * *

لم ينظر (عصام) إلى وجه مهاجمه ..

لم يحاول حتى أن يفعل ..

كل ماملأ رأسه فى هذه اللحظة ، هو ضرورة الدفاع عن حياته ..

وضرورة أن ينجو ..

وبحركة حادّة سريعة ، أمال (عصام) رأسه جانبًا ، ورأى التمثال يهوى على قيد سنتيمترات منه ، ويحطّم الهاتف ، محوّلًا إياه إلى مجرّد شظايا متهالكة ..

ثم دار على عقبيه فى توتُّر ، وقبض على معصم اليد الممسكة بالتمثال الثقيل ، ولواها فى قوة ، خلف ظهر صاحبها ، ثم دفعه بقدمه فى منتصف ظهره فى عنف ، ورآه يرتطم بأحد المقاعد ، ويسقط معه أرضًا ، ثم يهب واقفًا ، لمعاودة القتال ..

وفجأة دوى صوت (نوال) كالقنبلة :

ــ (شوكت) .

تردَّد (شوكت) لحظة ، وارتسم الغضب فى ملامحه ، ثم لم يلبث أن لوَّح بيده الممسكة بالتمثال فى قوّة ، وهو يصرخ :

ــ أتريدينا أن نسمح له بإبلاغ الشرطة ؟

صاحت فى حدّة :

ــ وهل أسمح بقتله فى المقابل ؟

صرخ غاضبًا :

ــ إننى أدافع عن سمعة العائلة .

هتف (عصام) فى حدّة :

ــ بل عن جريمتك .

اتسعت عينا (شوكت) ، وهو يحدّق فى وجهه ، قبل أن يهتف مستنكرًا ، ومشيرًا إلى جثّة عمه :

ــ أتظن أننى قتلته ؟

قال (عصام) فى غضب :

ــ لقد حاولت أن تقتلنى .. أليس كذلك ؟

صاح فى حدّة :

ــ ولكننى لن أقتل عمّى .

هتف (عصام) :

ــ وما الفارق ؟

لوّح (شوكت) بذراعه ، هاتفًا :

ــ فارق ضخم ، فهو عمى ، وأنت مجرّد .. مجرّد ..

عادت (نوال) تهتف :

ــ (شوكت) .

عقد حاجبيه فى حنق ، وأشاح بوجهه ، وألقى التمثال فى سخط ، على حين التفتت (نوال) إلى (عصام) ، وغمغمت فى لهجة مستكينة متوترة :

ــ ماذا تقترح علينا أن نفعل يا أستاذ (عصام) ؟

أجابها فى صرامة :

ــ أولًا : أن نُبلغ الشرطة .

خفضت عينيها ، وتمتمت فى انهيار :

ــ سنفعل .

أشار إلى الهاتف المحطَّم ، قائلًا فى حدّة :

ــ سنحتاج إلى من يذهب إليهم إذن ، بعد أن تحطَّم الهاتف .

عقدت حاجبيها ، مغمغمة :

ــ هناك هاتف فى كل حجرة من حجرات الڤيلّا .

قال فى توتر :

ــ حسنًا .. فلتتصل إذن برجال الشرطة ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وعلى نحو أثار توتر الجميع ، مما حدا بـ (عصمت) إلى أن يسأله فى خوف :

ــ ماذا هناك يا أستاذ (عصام) ؟

اندفع (عصام) نحو باب الڤيلّا ، هاتفًا :

ــ يبدو أن لدينا زائرًا ما يا سيّد (عصمت) .

وفتح الباب بغتة ، مستطردًا :

ــ زائرًا غير مرغوب فيه .

رأى الجميع جسد ذلك الزائر ، وسط الظلام ، كما رأوا فوهة ذلك المسدس ، الذى رفعه بغتة فى وجه (عصام) ..

ودوى صوت الرصاصة فى سكون الليل ..

* * *

يرجع الفضل فيما حدث إلى الخوف ..

خوف (عصام) ..

إنه لم يكد يرى فوهة المسدس ، المصوَّبة إلى صدره ، حتى ابتعد عنها فى ذعر ، وهو يطلق شهقة قوية ..

وانطلقت الرصاصة ..

وطاشت فى الهواء ..

ومع صراخ (نوال) ، وشهقتى (عصمت) و (شوكت) ، استعاد (عصام) سيطرته على أعصابه ومخاوفه ، فتحرَّك فى سرعة مناسبة ، وركل المسدس ، ثم هوى على فك صاحبه بلكمتين متتاليتين ، جعلا خصمه يهوى أرضًا ، وهو يُمسك فكه ، ويهتف فى ألم :

ــ اللعنة !

أسرع (عصام) يلتقط المسدس ، ويصوِّبه إلى الرجل ، صائحًا :

ــ إذن فأنت القاتل الخفى ، إننى لم أتوقَّع أبدًا أن يكون من خارج الڤيلَّا .. أو .....

أوقفته شهقة قوية ، انطلقت من بين شفتى (نوال) ، قبل أن تهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. (فؤاد) ؟!

التفت إليها (عصام) فى دهشة ، ورآها تحدِّق فى وجه الرجل ، فى مزيج من الذهول والذعر والحيرة ، فسألها فى عصبيَّة :

ــ هل تعرفينه ؟

حدَّقت فى وجهه بذعر ، وعادت تنقل وجهها إلى وجه الرجل ، دون أن تنبس ببنت شفة ، على حين نصب (شوكت) قامته ، وهو يقول فى غطرسة :

ــ كلنا نعرفه .

وأدار عينيه إلى (عصام) مستطردًا :

ــ إنه زوجها .. زوج شقيقتنا الكبرى (نوال) ..

* * *

عقد (عصام) حاجبيه فى شدَّة ، وهو يحدِّق فى وجه (فؤاد) ، زوج (نوال) ، قبل أن يَخفض فوهة مسدسه ، ويغمغم فى توتُّر :

ــ زوجها .

نهض (فؤاد) ، وراح ينفض الغبار عن ثوبه فى عصبيَّة ، وهو يقول :

ــ نعم أنا زوج (نوال) ، من أنت ؟

تجاهل (عصام) سؤاله ، وهو يقول فى حدَّة :

ــ وما دمت زوجها ، فلماذا كنت تتسلَّل هكذا ؟.. ولماذا حاولت قتلى ؟

هتف (فؤاد) :

ــ إننى لم أكن أتسلَّل .. إننى أقيم هنا ، ولقد فاجأنى وجودك ، فى تلك الساعة المتأخرة ، فتصوَّرتك لصًا ، وهذا ما دفعنى إلى إطلاق النار عليك .

جذبه (عصام) من سترته ، وهو يقول فى غضب :

ــ وهل من عادتك إطلاق النار على اللصوص ؟

دفع (فؤاد) يده بعيدًا ، وهو يهتف :

ــ لو أنهم بمثل صفاقتك .

ضمَّ (عصام) قبضته ، وبدا وكأنه سيهوى بها على فك (فؤاد) ، لولا أن أسرعت (نوال) تلقى نفسها بين ذراعى زوجها ، هاتفة :

ــ (فؤاد) .. حمدًا لله على سلامتك .. لماذا لم تخبرنا أنك ستصل اليوم ؟.. أتدرى أيَّة مصيبة حدثت ؟.. لقد لقى العم (صفوت) مصرعه .

هتف (فؤاد) فى ذعر :

ــ ماذا ؟.. من قتله ؟.. ولماذا ؟

بكت هاتفةً :

ــ لا أحد يدرى يا (فؤاد) .. لا أحد يدرى بعد .

دفعها جانبًا فى رفق ، واتجه نحو الجثة ، وتطلَّع إلى الوجه الجاحظ العينين فى ارتياع ، قبل أن يشيح بوجهه ، مغمغمًا :

ــ فلنبلغ الشرطة بسرعة .

غمغم (عصام) فى سخرية متوتِّرة :

ــ عجبًا !!.. ألست أحد أعضاء الأسرة ؟

التفت إليه (فؤاد) فى حدَّة ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. لست أحدهم .

عقد (عصام) حاجبيه ، قائلًا :

ــ بالمناسبة ، ماذا كانت تعنى زوجتك بحديثها إليك ؟

غمغم (فؤاد) فى عصبيَّة :

ــ أى حديث ؟

أجابه فى صرامة :

ــ عندما حمدت الله على عودتك سالمًا ، وسألتك لِمَ لَمْ تخبر أحدًا بعودتك الليلة ؟

عقد (فؤاد) حاجبيه بدوره ، وقال :

ـ لقد كنت فى (تركيا) ، منذ أسبوعين ، ولقد عدت الليلة ، دون أن أبلغهم بعودتى مسبقًا .

سأله (عصام) فى برود :

ـ ولماذا لم تفعل ؟

أجابه فى برود مماثل :

ـ لم أشأ أن أزعج أحدًا .

ابتسم (عصام) بمزيج من السخرية والتوتُّر ، وهو يقول :

ـ ولكن يبدو أنك ستشارك الجميع انزعاجهم .

ثم التفت إلى (نوال) ، مستطردًا :

ـ أين يمكننى التحدّث إلى الشرطة ؟

أجابته متوتّرة :

ـ من أية حجرة من حجرات المنزل .

تلفّت حوله ، ثم قال فى حزم :

ـ مادام (ضياء) قد بقى فى حجرته ، فأظننى سأستخدم هاتفه الخاص .

وعاد يواجه الجميع ، مستطردًا فى لهجة صارمة للغاية :

ـ ولتعلموا جميعًا أن الفجر سيبدو بعيدًا للغاية هذه الليلة ، فهى ليست ليلة عادية .. إنها ليلة شر ..

* * *

٦ ـ ليلة الشر ..

طرق (عصام) باب حجرة (ضياء) فى هدوء ، وانتظر حتى سمع صوت هذا الأخير ، يقول فى بطء :

ـ تفضّل بالدخول .

دفع (عصام) باب الحجرة ، ودلف إلى الداخل ، وتطلّع فى إشفاق إلى الفتى النحيل ، الذى جلس صامتًا ، فى مواجهة نافذة حجرته ، دون أن يضىء الحجرة ، متطلّعًا فى شرود إلى قرص القمر ، الذى تألّق كعجينة من الفضة ، وسط سماء مظلمة ، تحيط به النجوم المتلألئة ..

ومضت لحظات ، قبل أن يجرؤ (عصام) على قطع حبل الصمت ، مغمغمًا :

ـ كيف حالك يا (ضياء) ؟

تمتم (ضياء) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ كيف حالك أنت يا أستاذ (عصام) ؟

اقترب منه (عصام) ، ووضع يده على كتفه ، وهو يغمغم :

ـ فى خير حال يا صديقى .

خامره فجأة شعور عجيب ، وخيّل إليه أن جسد الفتى يرتجف قليلًا ، فانحنى نحوه ، وتطلّع إلى عينيه فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ــ أتبكى يا (ضياء) ؟

تمتم (ضياء) :

ــ كيف تبدو لك تلك القطرات الساخنة ، التى تقطر من عينىّ إذن ؟

ربّت (عصام) على كتفه فى حنان ، وهو يغمغم :

ــ هل أحزنك مصرع العم (صفوت) ؟

كان (عصام) يتوقّع أية إجابة ، فيما عدا عبارة (ضياء) المحتدة ، وهو يقول :

ــ كلّا بالطبع .. لماذا تتصوّر أن أفعل ؟

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ــ ولكنه عم والدك .

غمغم (ضياء) فى حنق :

ــ إننا لم نتبادل الودّ يومًا .

سأله فى دهشة :

ــ أكنت تكرهه ؟

صمت الصبى لحظات ، ثم تمتم :

ــ لم أكن أحبه .

ران عليهما الصمت طويلًا ، وراح (عصام) يتأمّل فى ملامح الفتى فى حيرة ، قبل أن يسأله فى خفوت :

ــ ألست تحب سوى عمتك (نوال) ؟

غمغم (ضياء) :

ــ لا أحد يحبنى سواها .

سأله فى اهتمام :

ــ كيف يمكنك أن تجزم بذلك ؟

هتف فى انفعال :

ــ إنها لتفعل أى شىء فى الدنيا من أجلى ، ومن أجل حمايتى .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله فى توتّر :

ــ مثل ماذا ؟

أجابه الفتى فى حزم :

ــ أى شىء .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى حدّة :

ــ وأنا أيضًا أفعل أى شىء من أجلها .

تأمّله (عصام) فى دهشة ، وخامره شعور مبهم بالخوف ، قبل أن يتمتم :

ـــ ومن أدراك أن أحدًا آخر لا يحبك ؟

ابتسم الفتى فى مزيج من السخرية والمرارة ، وهو يهزّ كتفيه ، مغمغمًا :

ـــ وكيف لى أن أعرف ؟

أجابه (عصام) :

ـــ يمكنك على الأقل أن تحاول ، أو .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى !!

التفت إليه الفتى فى دهشة ، هاتفًا :

ـــ ماذا حدث ؟

أمسك (عصام) كتفيه ، صائحًا فى انفعال :

ـــ شكرًا لك يا صديقى .. لقد قدتنى إلى استنتاج رائع ..

وقبل أن ينبس الفتى ببنتِ شفة ، اندفع (عصام) مغادرًا الحجرة ، وراح يقفز درجات السلّم إلى الطابق الأرضىّ ، وانقضّ على (فؤاد) ، فانتزعه من مقعده ، وهو يصرخ فى حدّة :

ـــ أنت رجل مخادع يا سيّد (فؤاد) .

حدّق الجميع فى وجه (عصام) فى دهشة ، وهتف (فؤاد) فى ذعر ، وهو يحاول أن يبعده عنه :

ـــ ماذا تعنى أيها المجنون ؟.

دفعه (عصام) ، فأعاده إلى مقعده فى قوة وعنف ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

ـــ إننى أتهمك بالقتل .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهتفت (نوال) فى هلع :

ـــ أستاذ (عصام) !.. ماذا تقول ؟

على حين صاح (فؤاد) فى شحوب :

ـــ القتل ؟!

أشار (عصام) إلى جثة العم ، هاتفًا :

ـــ نعم .. أتهمك بقتل العم (صفوت) .

شهقت (نوال) ، وأخفت فمها براحتيها ، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما هلعًا وذعرًا ، على حين ازداد (فؤاد) وصوته شحوبًا ، وهو يغمغم :

تتهمنى أنا ؟!

لوّح (عصام) بذراعه ، هاتفًا :

دفعه (عصام) ، فأعاده إلى مقعده فى قوة وعنف ..

ـ ومن يكون غيرك إذن ؟.. أنت الوحيد من خارج الأسرة ، والوحيد الذى لن يشعر بذرة من الشفقة ، وهو يقتل العم .

هتف (فؤاد) :

ـ هذا ليس دليلًا .

صاح به (عصام) :

ـ ولكنه طرف خيط جيّد ، للبحث عن الأدلة .

شحب وجه (فؤاد) ، وهو يغمغم :

ـ يبدو أنك محقّق فاشل .. أنسيت أننى كنت فى طريقى إلى هنا ، عندما قُتِل ؟

سأله (عصام) فى انفعال :

ـ كيف عرفت إذن ؟

غمغم (فؤاد) فى عصبيّة :

ـ عرفت ماذا ؟

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـ كيف عرفت أنه قد قُتِل ؟

امتقع وجه (فؤاد) ولوّح بكفه ، مغمغمًا :

ـ إننى لم أكن أعلم ، حتى أخبرتنى زوجتى أنه ..

قاطعه (عصام) فى حزم :

ــ بل كنت تعلم يا سيِّد (فؤاد) .. كنت تعلم قبل أن تخبرك زوجتك ، وقبل أن تراه .. عد بذاكرتك إلى الوراء ، وستجد أنك قد أخطأت ، وفضحت نفسك ، دون أن تدرى .. لقد أخبرتك زوجتك أن عمها قد لَقِىَ مصرعه ، فأسرعت تهتف متسائلًا عمن قتله ، ولماذا ، على حين قد لا تعنى العبارة مطلقًا أنه قد قُتِلَ .

بدا وجه (فؤاد) كالحًا كالموتى ، وهو يتمتم :

لقد فهمتها كذلك .

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ مستحيل !!.. ويمكننا استشارة رجال الشرطة فى ذلك .

وابتسم فى سخرية وتوتُّر ، مستطردًا :

ــ كما يمكننا الاستعلام من المطار عن الموعد ، الذى وصلت فيه طائرة (تركيا) ، وحساب الوقت الذى تستغرقه سيارة عادية ، للوصول من هناك إلى هنا ، فى مثل هذا الوقت ، و .....

قاطعه (فؤاد) ، بصوت أشدّ شحوبًا من وجهه :

ــ حسنًا .. إننى أعترف .

تراجعت (نوال) فى ذهول ، واتسعت عينا (عصمت) فى ذعر ، وهو يحدِّق فى وجه (فؤاد) ، على حين هتف (شوكت) مستنكرًا :

ــ تعترف بقتله ؟!

التفت إليه (فؤاد) ، هاتفًا فى هلع :

ــ كلَّا بالطبع .

ثم خفض وجهه فى مرارة ، مستطردًا :

ــ أعترف بأننى كنت أعرف مسبقًا أنه قد قُتِلَ .

دفعت عبارته مزيدًا من الذهول إلى ملامحهم وقلوبهم ، وهتفت (نوال) فى ارتياع :

ــ كنت تعلم ؟!

سالت من عينى (فؤاد) دموع غزيرة ، وهو يقول :

ــ نعم .. كنت أعلم .

ثم هتف فى مرارة ، وهو يرفع عينيه إلى (عصام) متضرِّعًا :

ــ ولكننى لم أقتله .. أقسم لك .

هتف به (عصام) :

ــ كيف عرفت إذن ؟

- عاد يطرق بعينيه أرضًا ، ويلوّح بكفه فى تخاذل ، قائلًا :

ـــ لقد وصلت منذ ساعتين ، وفتحت الباب فى صمت ، وتسلّلت على أطراف أصابعى ، لأفاجئ زوجتى بعودتى ، ففوجئت بعمها قتيلًا على ذلك المقعد ، ولقد أصابنى هذا بالهلع ، وخشيت أن أُتّهم بقتله ، فعدت أدراجى ، وأغلقت الباب خلفى ، وتظاهرت بأننى لم أعد بعد ، حتى يُكشف الحادث .

بكى لحظة فى مرارة ، ثم هتف :

ـــ ولكننى أقسم إننى لم أقتله .

ولوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـــ إننى حتى لا أمتلك دافعًا لذلك ..

مطّ (عصام) شفتيه قائلًا :

ـــ على العكس .. إنك تمتلك دافعًا قويًا .

هتف (فؤاد) فى دهشة :

ـــ أنا ؟!

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـــ نعم .. أنت .. ما لم تكن تملك دخلًا خاصًا .

شحب وجه (فؤاد) مرّة أخرى ، واختلس نظرة متوتّرة إلى زوجته ، وهو يغمغم :

ـــ كان لى دخل خاص ثم ، .....

قاطعه (عصام) فى صرامة :

ـــ ثم أصبحت تعيش على حساب إيراد زوجتك ، أليس كذلك ؟

هتفت (نوال) فى استنكار :

ـــ أستاذ (عصام) .

على حين تمتم (فؤاد) فى ألم :

ـــ إنه أمر مؤقت ، و .....

عاد (عصام) يقاطعه فى صرامة :

ـــ إذن فلديك الدافع .. لقد كان العم يرغب فى إرسال (ضياء) إلى مستشفى الأمراض العقلية ، وهذا يعنى ضياع الثروة ، وحرمان زوجتك من دخلها الضخم ، والحل الوحيد لمنع ذلك هو قتل العم .. أليس كذلك ؟

تطلّع إليه (فؤاد) فى هلع ، ونقل بصره إلى زوجته ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى !!

ثم صاح فى قسوة وخشونة وانفعال :

ـــ ولكننى أؤيّد العم يا أستاذ (عصام) .

صاحت (نوال) فى ذعر :

ــ كلّا يا (فؤاد) .. لا تقل ذلك .

صاح (فؤاد) بأعلى صوته ، وكأنه يحاول تبرئة نفسه :

ــ لابد من إرسال الفتى لمستشفى الأمراض العقلية .

اندفعت زوجته نحوه صارخة :

ــ اخرس .. لا تقل إن (ضياء) ..

هوت صفعته على خدها كقنبلة ، وخيّل لـ (عصام) أن صداها قد تردّد فى أنحاء الڤيلّا كلها ، قبل أن تسقط (نوال) أرضًا ، وتتطلّع إلى زوجها فى مقت ، هاتفة :

ــ أيها الحقير .

صاح زوجها بها :

ــ اخرسى أيتها الحقيرة ، واغربى عن وجهى .

اندفع (شوكت) نحوه ، صارخًا :

ــ كيف تجرؤ على إهانة شقيقتى أمامى ؟

صرخ (فؤاد) ، وهو يتراجع فى حدّة :

ــ إنكم أسرة مجانين .. كلكم مجانين .

لكمه (شوكت) ، وهو يهتف :

ــ أيها القذر .. إنك تستحق القتل من أجل ذلك .

تلقّى (فؤاد) اللّكمة فى فكّه ، وسقط أرضًا ، ثم صاح غاضبًا :

ــ سأقتصّ منكم جميعًا .. سأجعلكم تفقدون ذلك الغرور السخيف .

ثم اندفع صاعدًا إلى حجرته ، تاركًا خلفه موجة من صمت تام ، قبل أن يغمغم (عصام) فى حزم :

ــ معذرة أيها السادة .. لابد أن نُتمّ ما كنّا بصدده ، قبل أن تنشأ تلك المشكلة .

واتجه إلى الطابق العلوى بدوره ، مردفًا :

ــ سنستدعى رجال الشرطة ..

* * *

٧ ــ جريمة مزدوجة ..

تنهّد العقيد (خيرى) ، وفرك عينيه فى إرهاق ، وهو يتطلّع إلى شروق الشمس ، من خلف نافذة القيلّا ، قبل أن يلتفت إلى (عصام) ، قائلا :

ــ من المستحيل أن نلقى القبض على أحدهم ، حتى الآن يا (عصام) ، فلا يوجد دليل قوى واحد يدين أيًا منهم .

تمتم (عصام) :

ــ إنك لم تستجوب (فؤاد) و (ضياء) بعد يا سيادة العقيد ، ومازال كل منهما فى حجرته ..

أومأ العقيد (خيرى) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ أنت على حق .

بدت عليه سمات التفكير لحظات ، قبل أن يُردف :

ــ فلنبدأ بـ (ضياء) .

ابتسم (عصام) فى شحوب ، مغمغمًا :

ــ إننى أفضل ذلك ، فما زال (فؤاد) هو المشتبه فيه رقم (واحد) فى نظرى .

تطلّع إليه العقيد (خيرى) فى قلق ، وهو يقول فى إشفاق :

ــ أواثق أنت من أنك لست بحاجة إلى قسط من النوم ؟

أجابه (عصام) ، وهو يبذل أقصى جهده ليبتسم :

ــ بالطبع .. إننى أحتاج أكثر إلى حضور التحقيق .

مطّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وتمتم :

ــ لا بأس .. هذا شأنك .

ثم التفت إلى أحد رجال الشرطة ، مستطردًا فى حزم :

ــ أحضر لى (ضياء) .

غاب رجل الشرطة لحظات ، ساد خلالها صمت تام ، بين (عصام) والعقيد (خيرى) ، قبل أن يعود الشرطى ، ويؤدى التحية العسكرية ، مغمغمًا فى توتر وارتباك :

ــ معذرة يا سيّدى ، ولكنه يرفض الحضور .

هتف العقيد (خيرى) فى غضب :

ــ ماذا ؟

أسرع الشرطى يقول فى تلعثم :

ــ لقد رفض رفضًا باتًا يا سيّدى ، وقال إنه ليس متهمًا ، وإن هذا يمنحه الحق فى رفض الحضور ، وفى أن يتم استجوابه فى حجرته ، و .....

قاطعه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـــ كفى .

ثم التفت إلى (عصام) ، قائلًا فى لهجة تحمل رنة غاضبة :

ـــ يبدو أن هذا الفتى ليس أبله كما يظن الجميع يا (عصام) .. ليس كذلك بالمرة .

وعاد يتطلّع عبر النافذة ، إلى قرص الشمس المكتمل ، الذى راح يصعد فى بطء إلى السماء ، قبل أن يردف فى حزم :

ـــ وهذا الأمر بالغ الخطورة .. بالغ الخطورة حقًا ..

* * *

رفع (ضياء) عينيه البارزتين ، يتطلّع إلى العقيد (خيرى) فى هدوء ، وخيّل لـ (عصام) أن تلك النظرات تنفذ إلى أعمق أعماق العقيد (خيرى) ، قبل أن يقول هذا الأخير فى لهجة حازمة :

ـــ ها نحن أولاء فى حجرتك يا (ضياء) .. أتسمح لنا الآن باستجوابك ؟

غمغم الفتى فى هدوء شديد :

ـــ كما يحلو لك ، ولكنك ستضيع وقتك حتمًا ، فلن تجد لدى إلا ما أخبرك به الأستاذ (عصام) فحسب .

قال هذا وهو يرمق (عصام) بنظرة جانبية ، ارتجف لها هذا الأخير فى توتّر ، وهو يغمغم :

ـــ صدقنى يا (ضياء) ، أنا لم ..

قاطعه صوت العقيد (خيرى) ، وهو يسأل (ضياء) فى حزم :

ـــ أتراهن على ذلك ؟

تطلّع إليه (ضياء) فى صمت وهدوء لحظات ، ثم أجاب فى بساطة :

ـــ المراهنات أمر سخيف ، ويحرّمه الدين يا سيادة العقيد .

حدّق العقيد (خيرى) فى وجهه بدهشة بالغة ، ثم اعتدل قائلًا فى صرامة :

ـــ عجبًا !!.. لست تبدو لى محدود الذكاء يا (ضياء) .

أشاح الفتى بوجهه ، مغمغمًا :

ـــ إننى لم أدع غير ذلك .

تأمّله العقيد (خيرى) لحظة فى اهتمام ، ثم سأله :

ـــ من طبيبك المعالج ؟

ودون أن يلتفت إليه ، أجابه (ضياء) فى رنة ضيق واضحة :

ـ الدكتور (صابر) .. إنه يقيم فى الڤيلّا المجاورة .

قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـ حسنًا .. أظننى سأتحدّث إليه ، بدلًا منك .

وغادر الحجرة فى حركة حادة ، فألقى (عصام) نظرة قلقة على (ضياء) ، ثم لحق بالعقيد (خيرى) ، وسأله فى انفعال :

ـ لِمَ عاملته بهذه القسوة ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى حدّة :

ـ لأنه لم يبد لى أبله أبدًا .

ثم التفت إلى أحد رجال الشرطة ، فى الطابق الأرضى ، هاتفًا :

ـ أحضر لى الدكتور (صابر) ، الذى يقيم فى الڤيلّا المجاورة .. وبسرعة .

وأدار عينيه إلى (نوال) ، التى جلست مستسلمة ، محمرة العينين ، شاحبة الوجه ، وأردف فى عصبيّة :

ـ وأنت يا سيّدتى ، أيقظى زوجك ، فعليه أن يستعد للإدلاء بشهادته ، فهى أوّل مرّة أرى فيها متهمًا يغفو ، وهو يعلم بوجود رجال الشُرطة حوله .

تمتمت فى شحوب :

ـ زوجى ليس متهمًا يا سيادة العقيد .

هتف فى غضب :

ـ ولكنه سيدلى بإجابته على أية حال .. أليس كذلك ؟

ثم اندفع إلى حجرة المكتب ، التى اتخذها مكانًا للتحقيقات ، ولحق به (عصام) ، وهو يقول فى قلق :

ـ رويدك يا سيادة العقيد ، فالأمر لا يستحق كل هذه العصبيّة .

لوّح العقيد (خيرى) بذراعه ، وزفر فى قوة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا (عصام) ، ولكننا أمام جريمة قتل ، ولا يوجد دليل واحد يشير إلى القاتل ، أو يسمح لى بإلقاء القبض على أحد هؤلاء السخفاء ، وهذا يعنى أن يبقى القاتل طليقًا لبعض الوقت . وهذا يُقلقنى كثيرًا .

تمتم (عصام) فى شحوب ، وهو يجلس على أقرب مقعد صادفه :

ـ أنت على حق .

لم يكد يجلس ، حتى سمع طرقات على الباب ، وقال العقيد (خيرى) :

ـ ادخل .

دلف إلى الحجرة رجل وقور ، فى أوائل الخمسينات من العمر ، شابَ كل ما تبقى من شعره تمامًا ، وبدت عيناه من خلف عدستى منظاره الطبى ، تحملان الكثير من القلق ، وهو يرتدى روبًا منزليًا فوق منامته ، ويغمغم فى توتر :

ـــ أنا الدكتور (صابر) .. سمعت أنكما تطلبان رؤيتى .

صافحه العقيد (خيرى) فى اهتمام ، وهو يقول :

ـــ مرحبًا يا سيِّدى الطبيب .. أعتقد أننا نحتاج إلى تعاونك .

غمغم الطبيب ، ولم تفارق نبرة القلق صوته بعد :

ـــ أنا تحت أمرك .

أشار إليه العقيد (خيرى) بالجلوس ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ ما رأيك فى (ضياء كاظم) يا سيِّدى ؟

عقد الطبيب حاجبيه ، وعدَّل منظاره الطبى فى توتر ، وهو يغمغم :

ـــ من أية ناحية ؟

قال العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ـــ من الناحية العقلية بالطبع ؟

تنهَّد الطبيب ، قبل أن يقول :

ـــ إنها حالة غير مستقرة بالطبع .

مال العقيد (خيرى) نحوه ، وهو يسأله :

ـــ ما الذى تعنيه بأنها غير مستقرة ؟

تردَّد الطبيب لحظة ، ثم قال :

ـــ أعنى أنه مصاب بلمحة من الجنون ، ورثه عن جده لأمه .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ـــ كيف يمكنك أن تجزم بذلك ؟

تطلَّع إليه الرجل لحظات فى دهشة ، ثم لم يلبث أن قال فى غضب :

ـــ إنه عملى ، وأنا أستاذ ورئيس قسم الأمراض النفسية والعصبية بكلية الطب .

اعتدل العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ أعلم ذلك ، ولكن الفتى لا يبدو لى مجنونًا على الإطلاق ، بل يبدو لى حاد الذكاء .

أجابه الطبيب فى غضب :

ـــ وكيف تتصوَّر أن يبدو لك جنونه ؟.. أتريد منه أن يضع

مصفاة طماطم على رأسه ، ويرقص فى الطريق نصف عارٍ ، أم يصرخ ويضرب رأسه فى الحائط طوال الوقت ؟!.. اسمع أيها العقيد .. إنك تنظر إلى الأمر كما ينظر إليه الجهلاء ، ولكن الحقيقة هى أنه هناك شعرة دقيقة ، تفصل ما بين الجنون والعبقرية ، والفصل بين جانبى هذه الشعرة هو عملنا ، وهو ليس بالعمل الهين .

قال العقيد (خيرى) فى حدة :

ــ أتعنى أنه من الممكن أن يبدو الفتى ذكيًا ، على حين أنه ..؟

قاطعه الطبيب فى غضب :

ــ نعم .. هذا ما أعنيه .

تبادل الاثنان نظرات صارمة بعض الوقت ، ثم قال العقيد (خيرى) :

ــ حسنًا يا سيِّدى الطبيب .. هذا كل ما أردت معرفته منك .

قال الطبيب فى حدَّة :

ــ حسنًا .. فى المرة القادمة لا توقظنى إلا لهدف جاد .

ثم غادر الحجرة فى عصبيَّة واضحة ، جعلت العقيد (خيرى) يهتف فى غضب :

ــ من يظن نفسه ؟

ابتسم (عصام) فى شحوب ، متمتمًا :

ــ لا تجعل هذا الأمر يُفقدك أعصابك .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه فى شدَّة ، وهو يقول :

ــ أنت على حق .

ثم أردف ، وهو يدير عينيه إلى النافذة :

ــ لقد حسم لى هذا اللقاء نقطة شك .

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ أكنت تشك فى (ضياء) ؟

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وقال :

ــ إنه لم يبد لى مجنونًا .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا :

ــ لم يبق أمامنا سوى (فؤاد) .

واتجه إلى باب الحجرة ، وفتحه ، وتطلَّع إلى الخارج ، هاتفًا :

ــ أحضروا السيد (فؤاد) .

أجابته (نوال) بوجه شديد الشحوب ، وصوت بالغ التحشرج :

ــ أظنه لن يأتى .

هتف بها العقيد (خيرى) فى غضب :

ــ بل سيأتى على الرغم منه يا سيِّدتى ، فلن يعاند العدالة أبدًا .

أجابته فى شحوب مخيف :

ــ بل سيفعل ، ولسبب بسيط .

وانحدرت دمعة على وجنتها ، وهى تُردف :

ــ لقد قُتِل .

* * *

٨ ــ القاتل الطليق ..

« يا إلهى !!.. وكيف حدث ذلك ؟!.. »

هكذا هتفت (عُلا) فى انفعال ، بعد أن استمعت إلى (عصام) ، الذى أجابها فى توتُّر شديد :

ــ بنفس الوسيلة .. لقد حطَّم أحدهم جمجمته وهو نائم .

هتفت فى شحوب وامتعاض :

ــ يا إلهى !!

وسأل (عماد) فى اهتمام :

ــ ومتى حدث ذلك ؟

أجابه (عصام) :

ــ قُبَيْلَ حضور رجال الشرطة ، كما قدَّر الطبيب الشرعى .

سألته (عُلا) :

ــ وما الذى توصَّل إليه أبى؟

هزَّ رأسه فى أسف ، وهو يجيب :

ـ لا شيء .. كل أفراد الأسرة كان لديهم الوقت الكافى للقتل ، وكلهم يملكون فى الوقت ذاته ما يؤيّد أقوالهم .. لا شهود ، ولا أدلّة ، ولا يمكن اعتقال الجميع بتهمة واحدة .

تمتم (عماد) :

ـ للأسف .

ثم رفع رأسه إلى (عصام) ، مستطردًا فى ضيق :

ـ هذا يعنى أن القاتل سيظل مطلق السراح .

قلب (عصام) كفيه ، مغمغمًا فى توتُّر :

ـ ما باليد حيلة .

تبادل (عماد) و (غُلا) نظرة قصيرة ، قبل أن تغمغم (غُلا) فى حزم :

ـ ولكنّ هناك حل بالتأكيد .

وافقها (عصام) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا لا يقبل الشك ، ولكن من الضرورة أن نجد طرف الخيط للتوصُّل إليه ، وإلا فسنبقى عاجزين ، كحال الشرطة الآن .

ران الصمت لحظات ، وكل من الثلاثة يفكّر فى عمق ، قبل أن يغمغم (عماد) :

ـ إننى واثق من أن مفتاح الحل هو سبب القتل ، فلو توصّلنا إلى السبب ، عرفنا من القاتل .

غمغمت (غُلا) :

ـ أظن أن (ضياء) هو السبب فى الحالتين .

سألها (عصام) فى اهتمام :

ـ كيف؟!

أجابته فى حزم وجدية:

ـ لقد كان العم يصرّ على إيداعه مستشفى الأمراض العقليّة ، وكذلك زوج العمة ، ولكن كان هناك من يرفض ذلك ، لذا فقد قتل الرجلين بدافع الـ .....

بترت عبارتها فجأة ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !!.. هذا هو الحل .

صاح (عماد) بدوره فى انفعال :

ـ هذا صحيح يا (غُلا) .. كيف لم نفكّر فى ذلك ؟.. لقد كان الحل واضحًا منذ البداية .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ هل لى أن أعرف ذلك الحل ، الواضح منذ البداية ؟

أجابه (عماد) فى انفعال :

ـ سنُخبرك به يا أستاذ (عصام) ، وسيدهشك ذلك كثيرًا .. كثيرًا جدًا ..

* * *

كانت ليلة عاصفة ممطرة ..

ليلة تناثر فيها البرق فى سخاء ، عبر السماء المتخمة بغيوم داكنة ، حجبت ضوء القمر تمامًا ..

وكانت مفاجأة لـ (نوال) أن تجد (عصام) أمامها ، عندما استجابت لقرع الجرس ، فتطلّعت إليه فى دهشة ، قبل أن تعقد حاجبيها ، مغمغمة فى توتُّر :

ـ مساء الخير يا أستاذ (عصام) .. معذرة .. لقد كان يومًا شاقًا ، و .....

قاطعها فى هدوء ، وهو يزيحها عن طريقه ، ويدلف إلى داخل الڤيلّا بكل بساطة :

ـ أعلم ذلك .

زفرت فى ضيق ، وهى تتطلّع إليه فى توتُّر ، على حين راح هو ينفض مياه الأمطار عن ثيابه فى هدوء ، قائلًا :

ـ هل الجميع هنا ؟

تمتمت :

ـ نعم .

كانت مفاجأة لـ (نوال) أن تجد (عصام) أمامها ، عندما استجابت لقرع الجرس ..

ثم أردفت فى لهجة ذات مغزى :

ــ وأظنهم سيأوون إلى فراشهم بعد قليل .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لن يضيرهم أن ينتظروا قليلًا .

قال هذا واتجه نحو رَدْهة القيلًا فى هدوء ، حيث يجلس (عصمت) و (شوكت) ، اللذين تطلّعا إليه فى دهشة ، قبل أن ينقلا بصريهما إلى شقيقتهما فى استكار ، فقال (عصام) فى برود :

ــ أعلم أننى ضيف غير مرغوب فيه أيها السادة ، ولكن الأمر لا يحتمل التأخير .

وجلس دون أن يدعوه أحد لذلك ، فسأله (شوكت) فى توتر :

ــ ما هذا الأمر ، الذى لا يحتمل التأخير ، يا ترى ؟

اعتدل (عصام) ، وأجابه فى هدوء :

ــ لقد توصّلت إلى القاتل .. قاتل (صفوت) و (فؤاد) .

ارتسم الذهول على وجوه ثلاثتهم ، وهم يحدّقون فى وجهه ، قبل أن يغمغم (عصمت) فى شحوب :

ــ هل فعلت حقًا ؟

أومأ (عصام) برأسه فى هدوء ، وقال :

ــ بالطبع .

وصمت لحظة ، نقل خلالها بصره فى وجوههم ، قبل أن يردف :

ــ وهو أحد أفراد هذه القيلًا .

قفز الذهول إلى وجوههم مرّة أخرى ، وصاح (شوكت) فى مزيج من الغضب والاستنكار :

ــ كيف تجرؤ ..؟

قاطعه (عصام) فى صرامة :

ــ لا مجال للمكابرة يا سيّد (شوكت) .. لقد انكشف كل شىء .

ومَضَ البرق فى تلك اللحظة ، وعبر بريقه نافذة القيلًا ، وانعكس على وجوههم الشاحبة ، وهم يتطلّعون إلى (عصام) ، قبل أن يتمتم (شوكت) فى خفوت وتوتر :

ــ هراء .

ابتسم (عصام) فى غموض ، وهو يقول :

ــ على العكس يا سيّد (شوكت) .. إنه حقيقة .. حقيقة ذات ثلاثة وجوه .

وعاد يدير عينيه فى وجوههم ، قبل أن يسترخى فى مقعده ، قائلًا :

ـــ تصوَّروا معى أسرة من أربعة إخوة ، لم يبلغهم بعد أن آخر الملوك الأتراك الأصل ، قد رحل عن (مصر) ، منذ عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين ، وأن أصلهم التركى لم يعد يعنى لهم أية امتيازات ، ولكن أحدهم يكافح ليمنح نفسه امتيازًا ماديًّا خاصًّا ، يعود إليهم به إحساسهم بالتفوُّق ، ثم يرحل هذا الأخ ، ويترك لهم ابنًا أبله ، تبقى لهم الثروة والحظوة والسطوة بوجوده ، وتغيب عنهم برحيله .

غمغم (عصمت) فى توتُّر :

ـــ ماذا تعنى بقصتك هذه ؟

تجاهله (عصام) تمامًا ، وهو يستطرد فى هدوء :

ـــ وفجأة يأتى عم الإخوة الثلاثة الباقين ، ليهدِّد بإرسال الابن الأبله إلى مستشفى الأمراض العقلية ، وحرمان الإخوة الثلاثة بالتالى من الثروة والسطوة ، وهنا تثور ثائرة الثلاثة ، ويقرِّرون قتل العم .

هتف (شوكت) فى حدَّة :

ـــ أى هراء تقول ؟ بل عن أية حماقة تتحدَّث ؟

ابتسم (عصام) فى برود ، وتابع وكأنه لم يسمع شيئًا :

ـــ وهكذا يقتل الثلاثة العم ، ويؤيد كل منهم قصة الآخر ، فتضيع الحقيقة ، ويضيع دم العم هباء .

هبَّ (شوكت) من مقعده غاضبًا ، وهتف وهو يشير إلى الباب :

ـــ غادر القيلًا أيها الصحفى ، قبل أن أركلك وأُبعدك خارجًا .

تجاهله (عصام) تمامًا ، وواصل قائلًا :

ـــ ثم يظهر زوج الأخت ، ويثور فى وجوه الجميع ، ويُعلن صراحةً تأييده للعم القتيل ، فيصبح من المحتم التخلص منه ، و.....

شحب وجه (عصمت) ، وانكمش فى مقعده ، واحتقن وجه (نوال) ، وهى تتطلَّع إلى (عصام) فى هلع واضح ، على حين اندفع (شوكت) نحوه ، وانتزعه من مقعده فى عنف ، وهو يصرخ غاضبًا :

ـــ اخرج أيها الحقير ، قبل أن ..

قاطعه (عصام) فى هدوء :

ـــ مهلًا يا سيِّد (شوكت) .. إنه أحد وجوه الحقيقة فحسب ، وهو ليس الوجه الحقيقى .

حدَّق (شوكت) فى وجهه فى دهشة ، وغمغم :

ـــ ليس الوجه الحقيقى .

أزاح (عصام) يدى (شوكت) عن سترته ، وقال وهو يعاود الجلوس فى هدوء :

ـــ الحقيقة أكثر بساطة .

ومَضَ البرق مرَّة أخرى ، وانعكس بريقه على الوجوه ، التـــى بدت شاحبـــة ، كالحة ، مما حدا بـ (عصام) إلى الابتسام ، وهو يردف :

ـــ الحقيقة هى أن الرجلين قد قُتلا لنفس السبب ، وهو أن كليهما كان يرغب فى إبعاد الفتى عن هنا ، وإيداعه إحدى المصحَّات النفسيَّة والعقلية ، ولكن الأسرة لم تجتمع لقتله ، بل ويمكننى الجزم بأنها لم تجتمع أبدًا على قرار واحد ، فلقد ارتكب حادثى القتل شخص واحد .

أشعلت (نوال) سيجارتها فى عصبيَّة ، وهى تقول :

ـــ أتدَّعى إذن أنك تملك دليلًا يدين هذا الشخص ؟

ابتسم فى هدوء ، قائلًا :

ـــ بل أنا أثق بذلك تمامًا .

لوَّحت بذراعها فى توتُّر ، هاتفة :

ـــ هراء .. أراهن أنك لا تملك دليلًا .

تطلَّع إليها لحظة فى إشفاق ، وهو يتأمَّل جمالها الفتَّان ، ثم قال :

ـــ بل أملك يا سيِّدة (نوال) .

واعتدل فى مقعده ، مستطردًا :

ـــ والأمر لا يحتاج لأكثر من تحليل المواقف ، وتتبعها

منطقيًّا ، ويمكننا أن نقول إن الدافع لارتكاب الجريمتين هو الحب .

هتف (عصمت) فى ذهول :

ـــ الحب ؟!

بدت (نوال) شديدة العصبيَّة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى قوَّة ، و (عصام) يتطلَّع إليها فى إشفاق ، مغمغمًا :

ـــ نعم .. هذا هو الدافع للأسف .. إنها علاقة حب ، هى التى اضطرَّت القاتل لقتل العم ، والزوج .. قتلهما لأنهما أساءا إلى الشخص الذى يحب .. قتلهما لأنهما اتخذا موقفًا عنيفًا و .....

قاطعته (نوال) ، وهى تطفئ سيجارتها فى عنف :

ـــ حسنًا يا أستاذ (عصام) .. إننى أعترف .

وبدت شديدة الشحوب ، وهى ترفع رأسها ، قائلة فى اعتداد :

ـــ أنا قتلت الرجلين ..

ومرَّة أخرى ، انعكس وميض البرق على ملامحهـــا الصارمة ..

* * *

٩ ــ الحقيقة ..

مضت لحظات من الصَّمت ، و (عصمت) و (شوكت) يحدّقان فى وجه شقيقتهما فى ذهول واستنكار ، قبل أن يهتف (شوكت) :

ــ أنت ؟!

ويغمغم (عصمت) مختنقًا :

ــ مستحيل يا (نوال) !!.. مستحيل !

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى عصبيَّة :

ــ لماذا مستحيل ؟!.. أنتم تعلمون كم أحب (ضياء) .. إنه أحب الناس إلى قلبى ، فى هذا العالم ، بعد رحيل شقيقى ــ رحمه الله ــ ولقد أراد عمى أن يؤذيه ، ولقد استعطفته أن يتركه ، ولكنه أصرّ ، فما كان منى إلا أن تسلَّلت إليه ، وهو يجلس فى الرَّدهة ، وهويت على رأسه بالتمثال ، فقتلته ، ومسحت بصماتى عن التمثال جيِّدا ، وبعدها حاول (فؤاد) أيضًا أن يؤذى (ضياء) ، ولم يكن أمامى سوى أن أقتله أيضًا .

نفثت دخان سيجارتها فى توتُّر ، قبل أن تستطرد :

ــ لقد تسلَّلت إلى حجرته ، وأنتم جميعًا مشغولون باستدعاء رجال الشرطة ، وقتلته بنفس الوسيلة .

انتابتها نوبة عصبيَّة ، فراحت تصرخ :

ــ قتلته .. قتلته .. قتلته .

تراجع (شوكت) ، وجحظت عيناه فى ذهول ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، مردِّدًا :

ــ أنت يا (نوال) ؟!.. !

هتفت ، وقد سالت دموعها على وجنتيها :

ــ نعم أنا .. أكنت تريد منى أن أتركهما يحطمان مستقبل (ضياء) ؟

صاح فى استنكار :

ــ إنه مجرَّد شاب أبله مجنون .

هتفت محنقة :

ــ لا تقل إنه كذلك .. (ضياء) طفل طبيعى ، وهو مهذَّب وحنون ، و .....

قاطعها غاضبًا :

ــ وطفل فى الحادية والعشرين من عمره .. ألا يكفى هذا للدلالة على أنه أبله ؟

صرخت فى مرارة :

ــ لا تقل إنه كذلك .

ثم لوّحت فى وجهه بسبّابتها ، مستطردة :

ــ ولا تنس أن كل ما تنفقه من نقوده .

صرخ فى ثورة :

ــ فلتذهب تلك النقود إلى الجحيم .. لم يكن هناك شىء واحد ، فى العالم أجمع ، يستحق أن تقتلى من أجله .

أذهله (عصام) تمامًا ، عندما قال فى هدوء :

ــ اطمئن .. إنها لم تفعل .

التفتت إليه (نوال) فى هلع ، على حين حدّق (عصمت) و (شوكت) فى وجهه فى ذهول ، قبل أن يغمغم الأوّل :

ــ ماذا تقول يا أستاذ (عصام) ؟.. لقد اعترفت أمامك بقتل الرجلين ، و .....

قاطعه (عصام) فى هدوء :

ــ اعتراف كاذب .

شحب وجه (نوال) ، وهى تهتف :

ــ ولكن الاعتراف سيّد الأدلة .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ فى الأفلام السينمائية فقط ، أما فى الواقع ، فالقانون يحتم أن يتوافق الاعتراف مع الوقائع ، وإلا اعتُبر كاذبًا .

وأطرق برأسه لحظة ، ثم رفع عينيه إليها ، مستطردًا فى إشفاق :

ــ إننى أعترف بأنك تحبين ابن شقيقك حبًّا يفوق الوصف ، ولكن هذا لا يعنى أن تعترفى بجريمتى قتل ، و .....

وفجأة انقطع التيار الكهربى ، وساد ظلام تام ، فشهقت (نوال) ، وهتفت فى ذعر :

ــ كلّا .. كلّا .

وهبّ (عصام) من مقعده ، وتلفّت حوله فى قلق ، وهو يقول :

ــ (ضياء) .. أعلم أنك هنا .. وأنك المسئول عن انقطاع التيار .. و .....

صمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ــ وعن جريمتى القتل .

ران الصمت لحظة ، ثم ارتفع صوت (ضياء) ، من ركن مجهول بالرّدهة ، وهو يقول فى غضب :

ــ أنت ذكى يا أستاذ (عصام) .

قال (عصام) ، وهو يتلفّت حوله فى توتر :

ـــ لم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الذكاء يا (ضياء) ، لقد تمت الجريمتان ـــ كما سبق أن قلت ـــ من أجل الحب ، ولكن ليس من أجل حب عمتك لك ، ولكن من أجل حبك أنت لها ..

كان يتحدّث ، وهو يرهف سمعه ، محاولًا استنتاج اتجاه (ضياء) ، إلا أن المكان بدا صامتا ، إلا من صوته هو ، وهو يتابع :

ـــ إن العم والزوج لم يسيئا إليك وحدك ، وإنما أساءا إلى عمتك أيضا ، أحب إنسانة إليك فى الوجود ، فالأوّل أجبرها على التوسل إليه ، والثانى صفعها أمامنا فى قسوة ، وكان لابد لك من أن تنتقم لها ؛ لذا فقد قتلت عمك .. قتلته متسلّلًا فى الظلام ، كعادتك كل ليلة ، وبعدها تسلّلت إلى حجرة زوج عمتك ، وقتلته أيضا .. لقد كنت القاتل فى الحالتين يا (ضياء) .

صمت ، وساد الصمت التام ، بكل ما يحمله من رهبة وتوتّر ، فقال (عصام) ، محاولًا تحطيم الصمت :

ـــ ولقد أدركت عمتك أنك قد فعلت ، وحاولت

حمايتك ، ولكنها لم تفلح ، فأنت مصاب بجنون وراثى بالفعل .. جنون خفى ، يجعلك تبدو عاقلًا للغاية ، ولكنك فى الواقع تعانى اضطرابًا فكريًا شديدًا ، يحتاج إلى علاج نفسى متكامل ، ولن تحظى بذلك إلا فى مستشفى خاص .

انهارت (نوال) باكية ، وهى تقول فى مرارة :

ـــ كلّا .. إنه عاقل .. عاقل .

قال (عصام) فى توتّر :

ـــ صدقينى يا سيّدتى .. إنه مجنون ، ويحتاج إلى علاج ، و .....

قاطعه صوت ثائر :

ـــ أنت كاذب .

التفت إلى مصدر الصوت ، وحاول اختراق حجب الظلام الكثيف ببصره ، وهو يسمع (ضياء) يقول :

ـــ لقد كنت أظنك صديقى ، ولكنك مثلهم ، ترغب فى التخلّص منى .

هتف (عصام) فى توتّر :

ـــ على العكس يا (ضياء) .. إننى صديقك ، ولو لم أكن كذلك ما صارحتك بالحقيقة .

صرخ (ضياء) فى جنون :

ــ بل أنت كاذب .. كاذب .

ثم استطرد فى لهجة تحوى مقتًا شديدًا :

ــ سأقتلك مثلهم .. إنك تجهل تضاريس الحجرة ، ولن يمكنك أن تخطو خطوة واحدة ، دون أن ترتطم بشىء ما ، أما أنا فأحفظها عن ظهر قلب ، وسيعاوننى هذا على قتلك .

صاح (عصام) فى توتُر :

ــ ستضيف إلى جريمتيك جريمة ثالثة .

لم يجبه سوى الصمت ، فعاد يتلفَّت حوله ، هاتفًا :

ــ اسمعنى جيِّدًا يا (ضياء) ، إنك تحتاج إلى علاج بسيط ، وبعدها ستصبح شابًا عاديًا و .....

وفجأة ومَض البرق ، وعلى ضوئه رأى (عصام) (ضياء) أمامه ، وهو يرفع شمعدانًا ثقيلًا عاليًا ، ومن عينيه تطلّ نظرة مخيفة ..

نظرة قاتل مجنون ..

* * *

وفجأةً ومَضَ البرق ، وعلى ضوئه رأى (عصام) (ضياء) أمامه ، وهو يرفع شمعدانًا ثقيلًا عاليًا ومن عينيه تطلّ نظرة مخيفة ..

١٠ ــ الختام ..

قفز (عصام) جانبًا ، متفاديًا الشمعدان الثقيل ، الذى هوى إلى جوار رأسه فى عنف ، ثم اندفع نحو (ضياء) ، وكال له لكمة عنيفة فى معدته ، وهو يهتف :

ــ معذرة يا صديقى المسكين ، ولكنك اضطررتنى لذلك .

وعلى الرغم من نحوله الشديد ، تلقَّى (ضياء) اللَّكمة فى صلابة ، ولكم (عصام) فى فكِّه ، صارخًا :

ــ أنت أيضًا اضطررتنى لذلك .

ثم كال له أخرى فى معدته ، هاتفًا :

ــ ثم إنك لم تعد صديقى .

وثالثة فى فكِّه ، صارخًا :

ــ لم تعد كذلك أبدًا .

دارت رأس (عصام) ، وسقط أرضًا ، وهو يشعر بآلام مبرحة فى فكِّه ومعدته ، وشعر بـ (ضياء) يقيِّد حركته ، صارخًا :

ــ إنك تستحق القتل .. تستحقه مثلهما .

وعلى التماعة برق ثانية ، رأى (عصام) الشمعدان الثقيل يرتفع ، ثم يهوى كالموت على جمجمته ..

* * *

صرخة واحدة جمَّدت يد (ضياء) فى الهواء ..

صرخة عمته (نوال) ، وهى تهتف :

ــ كلَّا يا (ضياء) .

تسمَّرت يد (ضياء) ، وتجمَّدت فى الهواء ، قبل أن يحطِّم الشمعدان الثقيل رأس (عصام) بلحظة ، وهتف الفتى معترضًا :

ــ إنه يستحق القتل يا عمتى .

اقتربت منه ، وفتحت ذراعيها ، قائلة فى عطف :

ــ كلَّا يا ولدى .. إنه لا يستحق ذلك .. إنه صديق ، وهو هنا لمعاونتك .

تمتم الفتى فى حيرة :

ــ ولكن يا عمتى .. إنه يريد إرسالى إلى مستشفى الأمراض العقلية مثلهما .

قالت فى إشفاق ، ودموعها تسيل على خديها فى غزارة :

ــ إنه لا يرغب فى إيذائك .. إنه صديق .. ردِّد خلفى .. إنه صديق .

غمغم فى استسلام :

ــ إنه صديق .

اقتربت منه كثيرًا ، وهى تواصل :

ــ ولا أحد يؤذى صديقه .. اعتذر له عما فعلته به .

قال (ضياء) فى أسف ، كطفل صغير :

ــ أنا .. أنا آسف .

غمغم (عصام) فى توتُّر :

ــ لا عليك .

ربَّتت (نوال) على كتف (ضياء) ، وقالت فى حنان جارف :

ــ تعال إلى عمَّتك يا صغيرى .. تعال .

ألقى (ضياء) الشمعدان جانبًا ، ونهض ليلقى جسده النحيل بين ذراعى عمته ، ويبكى فى حرارة كطفل صغير ، قائلًا :

ــ سامحينى يا عمتى .. سامحينى .

ضمَّته إلى صدرها فى حنان ، وامتزجت دموعهما ، وهى تقول :

ــ فليسامحك الله يا صغيرى .

ثم جفَّفت دموعها فى صلابة ، وهى تستطرد :

ــ ها هو ذا يا أستاذ (عصام) .. سيصحبك إلى حيث تريد .

وخفضت عينيها ، مستطردة فى ألم :

ــ لقد انتهت قضيتك .. انتهت تمامًا ..

* * *

أعلن المذياع الداخلى ، فى ميناء (القاهرة) الجوى ، عن قيام رحلة شركة (مصر) للطيران ، المتجهة إلى (استانبول) فى (تركيا) ، وطلب من ركَّابها سرعة التوجه إلى ممرَّات الإقلاع ، فنهضت (نوال كاظم) فى بطء ، وحملت حقيبتها الصغيرة ، واتجهت نحو الممر فى خطوات ثقيلة ، لولا أن سمعت من خلفها صوتًا يهتف :

ــ لحظة يا سيِّدة (نوال) .

توقَّفت ، والتفتت إلى مصدر الصوت ، وهتفت فى دهشة :

ــ أستاذ (عصام) ؟!.. ماذا تفعل هنا ؟ ، وكيف دخلت صالة المسافرين ؟

أجابها (عصام) :

ـ لقد حصلت على تصريح خاص .

ثم سألها فى عتاب :

ـ إلى أين ؟

بدا له جمالها الفتّان ذاويًا ، وبدت كما لو كان عمرها قد تضاعف فى الأسبوعين الماضيين ، وهى تقول فى مرارة :

ـ إلى (تركيا) .. لم يعد لى أحدٌ هنا .. لقد فقدت كل من أحب .

أجابها فى حماس :

ـ ولكن (مصر) وطنك .. صحيح أن أجدادك من (تركيا) ، ولكنك وُلدت وترعرعت هنا .

ورقّ صوته ، وهو يستطرد :

ـ وهناك (ضياء) .

اغرورقت عيناها بالدموع ؛ لذكر الفتى ، وغمغمت فى ألم :

ـ المسكين .. سيقضى ما تبقى له من العمر ، فى مستشفى الأمراض العقلية .

أجابها فى إشفاق :

ـ هذا يعنى أنه قد صار يحتاج إليك ، أكثر مما كان فى

القيلًا ، ومن حسن الحظ أنه هناك الآن ، وإلّا تمّ إعدامه بتهمتى قتل .

تمتمت فى ألم :

ـ لست أحتمل رؤيته هناك .

أجابها فى تعاطف :

ـ ستحتملين لأنك تحبينه .

أشاحت بوجهها ، لتخفى دموعها الغزيرة ، وهى تغمغم :

ـ ربّما .. ربّما فيما بعد .

ربّت على كتفها ، وغمغم فى حنان :

ـ ستعودين .. أليس كذلك ؟

غمغمت فى خفوت :

ـ سأحاول .

ابتسم فى حنان ، متمتمًا :

ـ كلّا .. أريد وعدًا .

ابتسمت بدورها ، وقالت :

ـ سأحاول .

ودعته بتلويح كفها ، وحملت حقيبتها ، واتجهت نحو الممر ،

فى خطوات أكثر حيوية ، وقبل أن تبلغه ، التفتت إلى (عصام) ، وابتسمت ، وهى تقول :

ـ أبلغ (ضياء) أننى سأعود قريبًا .

ابتسم وهو يقول :

سننتظرك معًا .

ومن بعيد ، راح يلوّح لها ، حتى أقلعت طائرتها ، فأدرك أنه بهذا فقط انتهت القضية ..

قضية الأبله ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

١٧١٩

مغامرات ع × ٢

سلسلة القاز بوليسية مثيرة للشباب

تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية الأبله

- وريث أبله، داخل فيلا تمتلئ بالمتصارعين والمختلفين، وفجأة تحدث في الفيلا جريمة قتل، بسبب هذا الوريث الأبله، فمن القاتل؟ .. وكيف ارتكب جريمته؟
- ترى كيف يحل فريق (ع×٢) لغز هذه القضية الجديدة؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وحاول أن تسبق الفريق، إلى حل اللغز..

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع سليمان باشا - القاهرة - ت ٩٠٢٠٩٠

الثمن في مصر ١٠٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم

(قضية الأصابع الرهيبة)